حكمة السنة النبوية

الجزء الأول

رواء محمود حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حكمة السنة النبوية

الجزء الأول

تأليف

رواء محمود حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ} (الفتح: 29)

وفي الحديث:

عن علقمة بن وقاص الليثي، يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه."

(حديث صحيح).

الإهداء

إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

أهدي (حكمة السنة النبوية)

هذا العمل الذي طالما أردت أن أحبره له تحبيراً

عليه الصلاة والسلام

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: 70 – 71].

أما بعد[1]:

[1] تنظر خطبة الحاجة عند: النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (1404)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص 165، البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ، 7/ 164، غير مرفوع، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ، (2118)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]،النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ، ص355، إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ، ص 255، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 –

خاطرة:

من هنا كانت البداية:

ذات مرة، كنت مختلياً بنفسي، أتأمل في حال ذاتي، وحال الناس من حولي، متفكراً في مسائل شتى، وكما هو حالي في خلوتي، فجاءني الخاطر الأهم من بين كل تلك الخواطر، فقلت مع نفسي :

أوه، كيف فاتتني هذه المسألة المهمة للغاية، كيف فاتني أن أكتب كتاباً عن حكمة رسول الله محمد صَلَّى الله عليه وسلم .

أخذت أفكر بعمق أكثر فأكثر في وقتها، وبدأت أقول مع نفسي:

يا لأهمية هذا العمل، ما أعظمه، وما أكثر فائدته، كيف فاتني كل تلك السنين أن أكتب مثل هذا الكتاب المهم عن الحدث الأبرز في مسارات التاريخ (الحكمة النبوية) وكنت أرجو وقتها أن الوقت سيسعفني لكتابة مثل هذا العمل إن شاء الله عن (حكمة السنة النبوية).

نعم، حان الان وقت كتابة هذا العمل الهام، إن شاء الله، عسى أن يتقبله الله سبحانه وتعالى مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم سبحانه.

2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 3، الاصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 208/7، (تفرد به عفان عن شعبة).

الفصل الأول

مدخل إلى علم الحكمة النبوية

الإهداء

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(مرة أخرى) بعد (العروة الوثقى)

أهدي إلى المقام النبوي هذا العلم المعنيَّ بالحكمة النبوية

الذي أسأل الله سبحانه أن يبارك فيه، وأن يتقبله،

وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم،

وأن يجعله سببًا في أن يلتفت (الحكماء)

إلى معاني الحكمة الكامنة في السنَّة المحمدية...

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم، وبعد:

فعلم الحكمة النبوية إنجاز جديد من علوم الحكمة الإسلامية، هذا العلم الذي منَّ الله سبحانه عليَّ بنعمة اكتشافه، وتم إنجاز العديد من المؤلفات فيه؛ فعلى سبيل التأسيس لعلم الحكمة الإسلامية تم إنجاز كتاب "العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الإسلامية"[1]، وكتاب: "شرعة ومنهاج: أصول المنهج العلمي في علم الحكمة الإسلامية]"2.[

وساهم علم الحكمة الإسلامية في تأسيس علم جديد في مجال علوم كتاب الله تعالى، أسميناه بـ: (علم الحكمة القرآنية)، وتم الإعلان عنه من خلال كتاب: "حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم]"3.[

وفي هذا البحث يساهم علم الحكمة الإسلامية هذه المرة بالكشف عن علم جديد ينبع من سنَّة المصطفى عليه الصلاة والسلام، أسميناه بـ: (علم الحكمة النبوية).

المبحث الأول

ما هو علم الحكمة النبوية؟

1-تعريف علم الحكمة النبوية:

علم الحكمة النبوية معنيٌّ بالدرجة الأساس بالكشف عن معاني الحكمة الكامنة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي: في قوله وفعله وتقريره، وكل ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام؛ أي إن علم الحكمة النبوية يُعنَى بدراسة كل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل بعثته الشريفة، مرورًا بولادته ونبوته وحياته ووفاته عليه الصلاة والسلام، وصولًا إلى العصر الحاضر في تتبع كل ما يتعلق بالسنة النبوية، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها؛ فكل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم هو مادة لعلم الحكمة النبوية...

بيَّن أبو بكر الجصاص أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ما فعَله، أو قاله، ليُقتدى به فيه، ويداوم عليه، وهو مأخوذٌ من سنن الطريق، وهي جادته التي يكون المرور فيها، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهين: قول وفعل، فأما القول: ففيه التفصيل في حكم الأقوال، والأوامر، والنواهي وغيرها، والفعل ضربان: أحدهما: فعلٌ يفعله في نفسه، ويدلنا على حكمه، لنفعله على الوجه الذي فعله، والثاني: تركه النكير على فاعل يراه يفعل فعلًا على وجه، فيكون تركه النكير عليه بمنزلة القول منه في تجويز فعله على ذلك الوجه، فإن رآه يفعله على جهة الوجوب فأقره عليه كان واجبًا، وإن كان رآه يفعله على جهة الندب فأقره عليه كان ندبًا، وكذلك

الإباحة على هذا؛ وذلك لأنه لا يجوز منه أن يقر أحدًا على خلاف حكم الله تعالى؛ لأن الله تعالى إنما بعثه داعيًا إليه، وآمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر، فلو كان ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم من فعل من شاهده منكرًا، لأنكره، ووقفه على ما يجوز منه، مما لا يجوز في تركه النكير على من وصفنا شأنه، دلالة على جواز إيقاعه على ذلك الوجه[4].

إذًا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اختصاص (الحكماء)، وهم العلماء الذين سيصرفون أعمارهم في فهم وتطبيق سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويا له من اختصاص، ويا لها من نعمة أن يختص الإنسان بأشرف وأكمل وأطهر خلق الله نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر الإمام الشافعي أن كل ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه كتاب، من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة: دليلٌ على أن الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل شيء منها بيانٌ في كتاب الله، فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه: قبِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سننه بفرض الله سبحانه طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن الله سبحانه قبِل؛ لِما افترض الله من طاعته، فضلًا عما افترض الله سبحانه على خلقه من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبين من موضعه الذي وضعه الله به من دينه: الدليل على أن البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله من أحد هذه الوجوه، منها: ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره، ومنها: ما بينه عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بلا نص كتاب، وكل شيء منها بيانٌ في كتاب الله، ومنها: ما أتى على غاية البيان في فرضه، وافترض طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه كيف فرضه؟ وعلى من فرضه؟ ومتى يزول بعضه ويثبت ويجب؟ فكل من قبل عن الله

فرائضه في كتابه: قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سننه بفرض الله سبحانه طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن الله سبحانه قبل؛ لما افترض الله تعالى من طاعته، ومنها: ما بينه عن سنة نبيه بلا نص كتاب، فيجمع القبولَ لما في كتاب الله، ولسنة رسول الله: القبول لكل واحد منهما عن الله، وإن تفرقت فروع الأسباب التي قبل بها عنهما، كما أحل وحرم، وفرض وحد بأسباب متفرقة، كما شاء جل ثناؤه [5].

وبيَّن القفال الشاشي أن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الكتاب في حق لزوم العلم والعمل به؛ فإن من أطاعه فقد أطاع الله، والخبر في ثبوته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتصاله به، ولهذا المعنى صار الخبر على ثلاثة أقسام:

1- قسم صح من رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت منه بلا شبهة، وهو المتواتر.
2- وقسم فيه ضرب الشبهة، وهو المشهور.
3- وقسم فيه احتمال وشبهة، وهو الآحاد [6].

2- الحكمة النبوية في القرآن الكريم:

الكتاب الأول الذي يؤشر الحكمة النبوية هو القرآن الكريم؛ فهو المصدر الأول لدراسة الحكمة الواردة عن النبي عليه الصلاة والسلام، وقد ورد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسم الشريف في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40].

وقال جل شأنه في سورة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 2].

وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: 29].

3-حب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ومن المسائل التي يؤكد عليها علم الحكمة النبوية حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده)) [7]، وعن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين)) [8]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)) [9].

4- توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من أهم مهمات علم الحكمة النبوية: التأكيد على توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحترامه بما يليق بمقامه عليه الصلاة والسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: 1 – 5].

5- فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يخفى ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل كبير اختص به المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقد أشار إلى ذلك النبي عليه الصلاة والسلام؛ عن أبي عمار شداد، أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)) [10]، وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلِّم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن)) [11].

والنبي صلى الله عليه وسلم مفضل على جميع الخلائق؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)) [12].

والنبي صلى الله عليه وسلم "خير أهل الأرض نسبًا على الإطلاق؛ فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك؛ ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم؛ فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه؛ فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان]" [13] .

المبحث الثاني

مسائل من علم الحكمة النبوية

ننتخب أدناه مسائل من علم الحكمة النبوية، التي ستقدم تعريفًا إضافيًّا بهذا العلم إن شاء الله تعالى:

1- بدء الوحي:

من المسائل المهمة التي يُعنَى بها علم الحكمة النبوية كيفية بداية الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أساس أن لحظة تنزيل الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام هي اللحظة الفارقة في تاريخ المسلمين والإنسانية، ومن خلالها تأسس التاريخ الإسلامي، وبدأ كل ما يتعلق بالعقل الإسلامي بشكل عام، وفي الحديث الآتي تصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه اللحظات الأولى لتنزيل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلَق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالِيَ ذواتِ العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ((ما أنا بقارئ))، قال: ((فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم

أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: 1 – 3]))، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجُفُ فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: ((زمِّلوني زمِّلوني))، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: ((لقد خشيت على نفسي))، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتَصِل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَكسِب المعدوم، وتَقرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِي، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أومُخرجيَّ هم؟!))، قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عُودِي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقةُ أن توفي، وفتر الوحي]"[14].

2–مراتب الإسلام والإيمان والإحسان:

حدد النبي عليه الصلاة والسلام مفهوم كل من الإسلام والإيمان والإحسان في الحديث الآتي:

عن يحيى بن يعمر قال: كان أولَ من قال في القدر بالبصرة معبدٌ الجهني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبدالرحمن الحِمْيري حاجَّيْنِ – أو معتمرين – فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوُفِّق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شِماله، فظننت أن صاحبي سيكِل الكلام إلي، فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قِبلنا ناسٌ يقرؤون القرآن، ويتقفَّرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنفٌ، قال: (فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم برآء مني)، والذي يحلف به عبدالله بن عمر (لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهبًا فأنفقه، ما قبِل الله منه حتى يؤمن بالقدر)، ثم قال: حدثني أبي عمرُ بنُ الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفَّيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا))، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل))، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: ((أن تلِدَ الأَمَة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان))، قال: ثم انطلق، فلبثت مليًّا، ثم قال لي: ((يا عمر، أتدري من السائل؟))، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))] [15].

الخاتمة

علم الحكمة النبوية علم جديد من علوم (الحكمة الإسلامية)، يختص بكل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبموجب هذا العلم سيتجه العلماء والحكماء بالبحث والدراسة والفهم والتفتيش في الكنوز التي اشتملتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل تطبيقها على أفضل وجه.

إذًا كل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مادة لعلم الحكمة النبوية...

الهوامش:

---

[1]ط1، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 1434 هـ - 2013 م.

[2]دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2014.

[3]شبكة الألوكة، 2014/9/9 ميلادي - 1435/11/15 هجري، على الرابط الآتي : http://www.alukah.net/sharia/0/75741/

[4]أحمد بن علي، أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ): "الفصول في الأصول"، ط2، وزارة الأوقاف الكويتية، 1414هـ - 1994م، 3 / 235.

[5]الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبدالمطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): "الرسالة"، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مكتبه الحلبي، مصر، 1358هـ/1940م، 1 / 32.

[6]نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (المتوفى: 344هـ): "أصول الشاشي"، دار الكتاب العربي - بيروت، بدون تاريخ، ص 269.

[7]محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،

ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، 1422هـ، 1 / 12.

[8]صحيح البخاري، 1 / 12.

[9]صحيح البخاري، 1/ 12.

[10]مسلم بن الحجاج، أبو الحُسين القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، 4 / 1782.

[11]صحيح مسلم بن الحجاج، 4 / 1782.

[12]صحيح مسلم بن الحجاج، 4 / 1782.

[13]محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "زاد المعاد في هدي خير العباد"، ط 27، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ /1994م، 1 / 70.

[14]صحيح البخاري، 1 / 7.

[15]صحيح مسلم بن الحجاج، 1/ 36.

(ملاحظة):

نشر هذا الفصل في شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2015/5/31 ميلادي - 1436/8/12 هجري

رابط الموضوع:

http://www.alukah.net/sharia/0/87226/#ixzz4mTm1LvtP

المصادر والمراجع

•ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين (المتوفى: 751هـ): "زاد المعاد في هدي خير العباد"، ط 27، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ /1994م.

•البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، 1422هـ.

•الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (المتوفى: 370هـ): "الفصول في الأصول"، ط2، وزارة الأوقاف الكويتية، 1414هـ – 1994م.

•حسين، رواء محمود: "العروة الوثقى"، ط1، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 1434 هـ – 2013 م.

•حسين، رواء محمود: "شرعة ومناهج: أصول المنهج العلمي في علم الحكمة الإسلامية"، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2014.

" •حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم"، شبكة الألوكة، 2014/9/9 ميلادي – 1435/11/15 هجري، على الرابط الآتي : http://www.alukah.net/sharia/0/75741/.

•الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق (المتوفى: 344هـ): "أصول الشاشي"، دار الكتاب العربي – بيروت، بدون تاريخ.

•الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبدالمطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): "الرسالة"، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مكتبة الحلبي، مصر، 1358هـ/1940م.

•مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

الفصل الثاني
أحاديث في أصول الإسلام
من الحكمة النبوية

المبحث الأول

حديث (إنما الأعمال بالنيات)

قال البخاري: حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي، يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه". [2]

---

[2] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، 1/ 6. وانظر: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ): " شرح معاني الآثار"، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي – الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، عالم الكتب، الطبعة: الأولى – 1414 هـ، 1994 م، 3/ 96، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ): "سنن أبي داود"، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م، 3/ 526. وانظر: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " السنن الكبرى"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ – 2003 م، 1/ 445، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): " الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988 م، 11/ 211.

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: "يدخل حديث عمر، يعني " إنما الأعمال بالنيات " على سبعين بابا من الفقه، أي: أنواعا، أو مبالغة، اعتبارا أنه داخل في أكثر الفقه. وقال أيضا: يدخل في هذا الحديث ثلث العلم". [3]

قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر:3]، تثبيت على هذا المغزى العقدي أن الدين لله سبحانه وتعالى، والدين: "التشريع من عند الله سبحانه، والتقرب بتطبيق هذه الشريعة يكون لله سبحانه وتعالى". إذاً: الدين من عند الله، والقرب بتنفيذ هذا الدين لله سبحانه وتعالى، وكل عمل من العبادات يتطلب الإخلاص، والإخلاص لا يكون إلا بنية، حتى تفرق بين عمل وبين عمل آخر. ولذلك كانت كل عبادة من العبادات لا بد فيها من النية حتى يثاب عليها العبد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات)، فالعمل الصالح لا تثاب عليه إلا بنية خالصة لله سبحانه، وكم من عمل يفعله الإنسان ويكون ظاهره الصلاح ولا يثاب عليه، فيكون هذا العمل في ظاهره أنه يعمل عملاً صحيحاً ولكن في الباطن يريد به السمعة ويريد به الرياء، ولا يستقيم العمل الصالح على طريق الله سبحانه إلا بالنية الخالصة من العبد. [4]

لذلك تتطلب كل عمل إلى نية، وأي عمل فيه قربى أو ثواب لا بد من نية صحيحة من العبد حين يعمله، ولذلك قال العلماء: هذه الآية فيها دليل على ضرورة النية في كل عمل يعمله الإنسان، ومن أعظم الأعمال التي يعملها الإنسان الصلاة والوضوء الذي لا تصح الصلاة إلا

---

[3] علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: 885هـ): " التحبير شرح التحرير في أصول الفقه"، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح الناشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م، 8/ 342.

[4] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: "تفسير الشيخ أحمد حطيبة"/ مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 510 درسا]، 4/ 338.

.

به. إذاً: الصلاة لا بد فيها من نية، والوضوء أيضاً لا بد فيه من نية، وبعض أهل العلم خالف في ذلك، فذهب الأحناف إلى أنه لا يتشرط للوضوء النية، وكأنهم حكموا على أمر الوضوء بأنه رفع الحدث حكمه حكم إزالة النجس عن الإنسان، ولا يحتاج فيه إلى نية، قالوا: فكذلك إزالة الحدث منه، فلو أن على ثوب الإنسان نجاسة أو على بدنه نجاسة لم تصح صلاته بهذه النجاسة، ويلزمه أن يغسلها، فلو أنه غسل ثوبه أو غسل يده أو غسل عضواً من أعضائه وهو لا يستحضر النية إلا أنه غسل هذا الموضع بالماء حتى أزال منه النجاسة؛ صار طاهراً مع أنه لم ينو، ولو أن عليه نجاسة ونزل عليه ماء من السماء فأزال هذه النجاسة أصبح طاهراً من النجاسة ولكن ليس متوضئاً، فلا يكون الوضوء ولا يكون الاغتسال لإزالة الحدث إلا بنية. [5]

قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر:3]، والنبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا في الحديث: (إنما الأعمال بالنيات)، كذلك جاء عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الوضوء شطر الإيمان)، هذا لفظ الترمذي، ولفظ الإمام مسلم: (الطهور شطر الإيمان). إذاً: التطهر جزء من الإيمان، و (الوضوء شطر)، ولا يكون شطراً من الإيمان إلا وهو عبادة، إذاً: الوضوء شرط لصحة الصلاة وهو عبادة، ولذلك قال: (الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان)، إلى آخر الحديث. فافتتح بالطهور أو بالوضوء، فلا يكون هذا الوضوء وضوءاً تؤجر عليه إلا بنية، وقد ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي يتوضأ: (تخرج خطاياه وذنوبه مع آخر قطرة من ماء)، إذاً: كل ما مر الماء على عضو من أعضاء الوضوء خرجت معه الذنوب فكيف يكون الوضوء بهذا القدر العظيم يكفر الله عز وجل به الذنوب ولا يكون عبادة؟! فإذا أردت أن ينقي الله عز وجل عنك الذنوب

[5] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: "تفسير الشيخ أحمد حطيبة"/ مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 510 درسا]، 4/ 338.

وتتحقق صلاتك فتوضأ، والوضوء لا يكون إلا بنيته، إذاً: لا بد أن تنوي هذا الوضوء عند البداية؛ لتستحضر النية أنك تتوضأ، فتفرق بينه وبين غسل الوجه مثلاً بغاية التنظيف أو بمقصد التبرد.[6]

المعني من كافة الأشغال توعية القلب بمعرفة الله وتطهيره عما سوى الله، والنية صفة القلب، والفعل ليس صفة القلب، وأثر صفة القلب أقوى من أثر ميزة الجوارح في القلب، ولذلك نية المؤمن خير من عمله. ولا معنى للنية إلا النية إلى إيقاع تلك الأعمال إطاعة للمعبود وانقياداً له، وإنما يراد الأعمال ليست حفظ التذكر بالترديد، فيكون الذكر والقصد الذي في القلب بالنسبة إلى العمل كالمعني بالنسبة إلى الواسطة، ولا شك أن المعني أشرف من الوسيلة. إن القلب أشرف من الجسد، ففعله أشرف من فعل الجسد، فكانت النية أفضل من العمل. وينبغي أن يعمل أن الأعمال على ثلاثة أقسام: طاعات، ومعاصي، ومباحات، أما المعاصي فهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية، فلا يظن من ليس له علم أن قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات" يتطلب تغيير الإثم طاعة بالنية كالذي يطعم فقيراً من مال غيره، أو يبني مسجداً من مال حرام. [7]

الطاعات وهي متصلة بالنيات في الأساس وفي الفضيلة، أما في الأصل فهو أن يعتزم بها عبادة الله تعالى، فإن عزم الرياء صارت إثمً، وأما الفضيلة فبكثرة النيات تكثر الحسنة كمن قعد في المسجد وينوي فيه نيات كثيرة. فمن ذلك أن يعتقد أنه بيت الله وينوي به زيارة مولاه كما قال عليه الصلاة والسلام: «من قعد في المسجد فقد زار الله وحق على المزور إكرام زائره، ومنها

---

[6] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: "تفسير الشيخ أحمد حطيبة"/ مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net،]الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 510 درسا[، 4/ 338.

[7] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ, 4/ 8.

أنه ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون وضع الانتظار كمن هو في الصلاة. ومنها صرف القلب والسر بالكلية إلى الله تعالى. ومنها إزاحة ما سوى الله عن القلب. ومنها أن يقصد إفادة علم أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر. ومنها تغاض السمع والبصر وسائر الأعضاء كما لا ينبغي، فإن الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم، وهو نوع ترهب، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «رهبانية أمتي القعود في المساجد". ومنها أن يستفيد أخا في الله فإن ذلك غنيمة أهل الدين. ومنها أن يترك الذنوب حياء من الله فهذا طريق تكثير النيات، وقس به عموم الطاعات. [8]

أما سائر المباحات ولا شيء منها إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ولا يصرفها إلى القربات، وفي الخبر: من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من ريح المسك، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة فإن قلت: فاشرح لي كيفية هذه النية، فاعلم أن القصد من التطيب إن كان هو التنعم وريحه أنتن من الجيفة، فإن قلت: فاشرح لي كيفية هذه النية، فاعلم أن القصد من التطيب إن كان هو التنعم بلذات الدنيا أو إظهار التفاخر بكثرة المال أو رياء الخلق أو ليتودد به إلى قلوب النساء، فكل ذلك يجعل التطيب معصية، وإن كان القصد إقامة السنة ودفع الروائح المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد، فهو عين الطاعة، وإذا عرفت ذلك فقس عليه سائر المباحات، والضابط أن كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق، وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب. المسألة الخامسة: اعلم أن الجاهل إذا سمع الوجوه العقلية والنقلية في أنه لا بد من النية فيقول في نفسه عند تدريسه وتجارته: نويت أن أدرس لله وأتجر لله يظن أن ذلك نية وهيهات فذاك

[8] الرازي: " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 4/ 8.

حديث نفس أو حديث لسان والنية بمعزل عن جميع ذلك إنما النية انبعاث النفس وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا وإما آجلا. [9]

إن استنارة القلب بمعرفة الله وحبه لا تحصل إلا إذا قصد العامل بفعله طاعة ربه والإخبات والخشوع له، أي بمعنى أن يعمل العمل الذي يحصل به على الفوز بثواب الآخرة، ولا يكون ذلك إلا إذا كان من القرب والطاعات، لا من الأعمال المحرمة كعبادة الأوثان والكواكب والملائكة. أن يكون ذلك وهو مؤمن، فإن أعمال الطاعات لا تستوجب الثواب إلا إذا وجد الإيمان. ثم بين سبحانه وتعالى أن عطاءه ورزقه الدنيوي لا يحظر على كل من الفريقين فقال: {كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾} (الإسراء: 20)، أي إن كلا من الفريقين طالبي العاجلة وطالبي الآجلة الساعي لها سعيها وهو مؤمن يمده ربه بمنحته ويفسح عليه المعاش ويجزل الأولاد وغيرهما من متاع الدنيا، فإن منحته ليست بالمحظورة من أحد من خلقه مؤمنا كان أو غير ذلك، فكلهم مخلوق في دار العمل، فاستلزم إزاحة الذريعة ورفع العلة وإيصال متاع الدنيا إليهم على القدر الذي يتطلبه صلاحهم. [10]

وتتباين أحوال الفريقين، ففريق العاجلة إلى جهنم وبئس المهاد، وفريق الآجلة إلى جنات تجرى من تحتها الأنهار، ونعم عقبى الدار. ثم وضح ما مر من الإمداد وعدم محظورية العطاء على أحد فقال: {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾} (الإسراء: 21)، أي انظر إلى عطائنا للفريقين في الدنيا، كيف فضلنا بعضهم على بعض، فوصلنا رزقنا إلى مؤمن وقبضناه عن آخر، ووصلناه إلى غير مؤمن ومنعناه من آخر،

[9] الرازي: " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 4/ 8.

[10] الرازي: " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 4/ 8.

ولهذا حكم وأسباب بيّنها سبحانه بقوله: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ} (الأنعام: 165)، وقوله {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾} (الزخرف: 32). [11]

ومعنى "إنما الأعمال بالنيات" أنه لابد من عمل بعد النية. أن النية تستفيد بها بمفردك والعمل ويعود على الناس. فإذا كان في نيتك أن تتزكى وتزكيت استفاد الفقراء بمالك. ولكن إذا لم يكن في نيتك فعل الخير وفعلته لتحصل على سمعة أو لترضي بشراء استفاد الفقراء بمالك ولن تستفيد أنت بثواب هذا المال. والله سبحانه وتعالى يريد أن تعمل عملك بنية الإخلاص لله سبحانه وتعالى. والعمل حركة في الحياة. والنية هي التي تعطي الثواب لصاحبه أو تمنع عنه الثواب ولذلك يقول الله جل جلاله: {إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ [البقرة: 271]. فالله سبحانه وتعالى يريدنا أن نتصدق. والفقير سيستفيد بالصدقة سواء كانت نيتك أن يقال عنك رجل الخير المتصدق. أو أن يقال عنك رجل البر والتقوى أو أن تستر خيرك. [12]

فالبعمل ينتفع به الناس سواء أردت أو لم ترد. أنت إذا قررت أن تبني عمارة، النية هنا هي التملك. ولكن استفاد ألوف الناس بهذا العمل ابتداء من الذي باع لك قطعة الأرض والذي أعد لك الرسم الهندسي وعمال الحفر والذي وضع الأساس ومن قام بالبناء وغيرهم. هؤلاء استفادوا

---

[11] أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): "تفسير المراغي"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م، 15/ 28.

[12] محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ): " تفسير الشعراوي - الخواطر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م)،1/ 618.

من عملك برزق لهم. سواء أكان في خاطرك الله أم لم يكن في ذهنك الله فقد انتفعوا. إذن فكل عمل فيه نفع للناس أردت أو لم ترد. ولكن الله لا يكافيء على الأعمال بإطلاقها وإنما يثيب على النيات بإخلاصها. فإن كان عملك خالصاص لله جزاك الله عليه. وإن كان عملك لهدف آخر فلا جزاء لك عند الله لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك.[13]

وهنا لابد من الإشارة إلى قاعدة (اعتبار المقاصد في ترتيب الأحكام)، فقد افترض الله القصد والإرادة في ترتيب الأحكام على أعمال العباد، وهذا الأصل العظيم: صرح به النبي صلى الله عليه وسلم . في قوله: (إنما الأعمال بالنيات) متفق عليه. والمقصود هنا: أنه ورد آيات كثيرة جداً في هذا الأصل فمنها وهو أعظمها أنه رتب حدوث الآجر العظيم على الأعمال بإرادة وجهه تعالى، لما ذكر الصدقة والمعروف، والإصلاح بين الناس، قال في سورة النساء: {وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾} [النساء: 114] وقال في سورة البقرة: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} [البقرة: 265] وفي مقابله قال: {رِئَاءَ النَّاسِ} [البقرة: 264]. ووصف الله نبيه وخيار خلقه الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بأنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. وقال في الرجعة في سورة البقرة: {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ} [البقرة: 228] وقال في سورة البقرة: {لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾} [البقرة: 225]. وقال في سورة النساء: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارّ} [النساء: 12] وقال في سورة النساء: {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾} [النساء: 4] وفي سورة البقرة: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾}

[13] محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ): " تفسير الشعراوي – الخواطر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م)،1/ 618.

[البقرة: 188] وفي سورة البقرة: {وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾} [البقرة: 220] وفي دعاء المؤمنين في سورة البقرة: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ} [البقرة: 286]. [14]

عن الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "الهجرة خصلتان إحداهما تهجر السيئات والأخرى تهاجر إلى الله وإلى رسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل"، وروى أحمد أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: جاء رجل أعرابي فقال: يا رسول الله أين الهجرة إليك حيث كنت أم إلى أرض معلومة أم لقوم خاصة أم إذا مت انقطعت؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم قال: أين السائل عن الهجرة؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: إذا أقمت الصلاة وآتيت الزكاة فأنت مهاجر وإن مت بالخضرمة"، قال: يعني أرضاً باليمامة، وفي رواية له الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم أنت مهاجر وإن مت بالخضرمة. [15]

وفي (استنباط الأحكام) يشار أنه احتجت الأئمة الثلاثة به في وجوب النية في الوضوء والغسل، فقالوا: التقدير فيه صحة الأعمال بالنيات والألف واللام فيه لاستغراق الجنس، فيدخل فيه جميع الأعمال من الصوم والصلاة والزكاة والحج والوضوء وغير ذلك، مما يطلب فيه النية

[14] عبد الرحمن بن ناصر ال سعدي (ت 1376هـ): "القواعد الحسان لتفسير القران"، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، 1420هـ - 1999م، 1/ 101.

[15] أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ): " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1/ 30.

عملاً بالعموم ويشمل أيضاً الطلاق والعتاق لأن النية إذا ماثلت الكناية كانت كالصريح، وقال الخطابي: "قوله: "إنما الأعمال بالنيات" لم يرد به أعيان الأعمال لأنها حاصلة حساً وعياناً بغير نية، وإنما معناه أن صحة أحكام الأعمال في حق الدين إنما تقع بالنية، وأن النية هي الفاصلة بين ما يصح وما لا يصح، وكلمة إنما عاملة بركنيها إيجابا ونفيا فهي تثبت الشيء وتنفي ما عداه، فدلالتها أن العبادة إذا صحبتها النية صحت وإذا لم تصحبها لم تصح، ومقتضى حق العموم فيها يوجب أن لا يصح عمل من الأعمال الدينية أقوالها وأفعالها فرضها ونفلها قليلها وكثيرها إلا بنية". وقال النووي: "تقديره إنما الأعمال تحسب إذا كانت بنية ولا تحسب إذا كانت بلا نية، وفيه دليل على أن الطهارة وسائر العبادات لا تصح إلا بنية". [16]

وقال الطيبي: "كل من الأعمال والنيات جمع محلى باللام الاستغراقية، فأما أن يحملا على عرف اللغة فيكون الاستغراق حقيقياً أو على عرف الشرع وحينئذ، إما أن يراد بالأعمال الواجبات والمندوبات والمباحات وبالنيات الإخلاص والرياء، أو أن يراد بالأعمال الواجبات، وما لا يصح إلا بالنية كالصلاة لا سبيل إلى اللغوي لأنه ما بعث إلا لبيان الشرع فكيف يتصدى لما لا جدوى له فيه، فحينئذ يحمل إنما الأعمال بالنيات على ما اتفق عليه أصحابنا، أي ما الأعمال محسوبة لشيء من الأشياء كالشروع فيها والتلبس بها إلا بالنيات، وما خلا عنها لم يعتد بها، فإن قيل لم خصصت متعلق الخبر والظاهر العموم كمستقر أو حاصل؟ فالجواب أنه حينئذ يكون بيانا للغة لا إثباتا لحكم الشرع وقد سبق بطلانه ويحمل إنما لكل امرىء ما نوى على ما تثمره النيات من القبول والرد والثواب والعقاب ففهم من الأول إنما الأعمال لا تكون محسوبة ومسقطة للقضاء إلا إذا كانت مقرونة بالنيات ومن الثاني أن النيات إنما تكون مقبولة إذا كانت مقرونة بالإخلاص". انتهى. وقال البيضاوي: "الحديث متروك الظاهر لأن الذوات غير منتفية، والمراد

[16] بدر الدين العيني: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 1/ 30.

به نفي أحكامها كالصحة والفضيلة، والحمل على نفي الصحة أولى لأنه أشبه بنفي الشيء نفسه، ولأن اللفظ يدل بالتصريح على نفي الذات، وبالتبع على نفي جميع الصفات، فلما منع الدليل دلالته على نفي الذات بقي دلالته على نفي جميع الصفات". [17]

وذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر والثوري والأوزاعي والحسن بن حي ومالك في رواية إلى أن الوضوء لا يحتاج إلى نية، وكذلك الغسل، وزاد الأوزاعي والحسن التيمم، وقال عطاء ومجاهد: "لا يحتاج صيام رمضان إلى نية إلا أن يكون مسافرا أو مريضاً"، وقالوا: التقدير فيه كمال الأعمال بالنيات أو ثوابها أو نحو ذلك لأنه الذي يطرد فإن كثيراً من الأعمال يوجد ويعتبر شرعاً بدونها، ولأن إضمار الثواب متفق عليه على إرادته، ولأنه يلزم من انتفاء الصحة انتفاء الثواب دون العكس. فكان هذا أقل إضماراً فهو أولى ولأن إضمار الجواز والصواب يفضي إلى نسخ الكتاب بخبر الواحد وهو ممتنع لأن العامل في قوله بالنيات مفرد بإجماع النحاة فلا يجوز أن يتعلق بالأعمال لأنها رفع بالابتداء فيبقى بلا خبر فلا يجوز، فالتقدير إما مجزئة أو صحيحة أو مثيبة فالمثيبة أولى بالتقدير، لوجهين: أحدهما أن عند عدم النية لا يبطل أصل العمل وعلى إضمار الصحة والإجزاء ينقض فلا يسقط بالشك، والثاني أن قوله ولكل امرىء ما نوى يدل على الثواب والأجر لأن الذي له إنما هو الثواب وأما العمل فعليه وقالوا في هذا كله نظر من وجوه الأول أنه لا حاجة إلى إضمار. [18]

ومن الناحية اللغوية، ففي قوله صلى الله عليه وسلم"إنما الأعمال بالنيات"، قيل: كلمة: (إنما) بسيطة. وقيل: مركبة من: أن، وما الكافة، أو الزائدة للتأكيد. وقيل: مركبة من أن، وما

[17] بدر الدين العيني: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 1/ 30.
[18] بدر الدين العيني: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 1/ 30 .

النافية فهي عاملة بركنيها إيجابا، ونفيا فبحرف التحقيق يثبت الشيء، وبحرف النفي ينفى ما عداه، وما اعتراض عليه من لزوم اجتماع الضدين على شيء واحد، ومن: أن، وما كلاهما يقتضي الصدارة – مدفوع بأن هذا إنما هو قبل التركيب، وأما بعده فقد صار علماً مفرداً على إفادة الحصر، وتضاعيفه يفيد القصر، لأنه ليس إلا تأكيداً للحكم على تأكيد، واتفق أهل العربية، والأصول على أنها موضوعة للحصر خلافا لما نقل عن أكثر النحاة لصحة: إنما قام زيد في جواب هل قام عمرو؟ كما يجاب ب: ما قام إلا زيد، ولورود قوله تعالى {فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾} [التغابن: 12] و {مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ} [المائدة: 99] وإذا تقرر أنها للحصر فتثبت المذكور، وتنفي الحكم عن غيره في نحو: إنما قام زيد أي: لا عمرو، أو غير الحكم عن المذكور في نحو: إنما زيد قائم أي: لا قاعد. [19]

ومما يدل له حديث: («إنما الماء من الماء») فإن الصحابة الآخذين بموضوعه لم يخالفهم جمهورهم القائلون بوجوب الغسل، وإن لم ينزل بأن إنما لا تفيده، وإنما عارضوهم بأدلة أخرى كحديث: «إذا التقى الختانان وجب الغسل» "، وقد استدل ابن عباس – لما تفرد به قيل: ورجع عنه لما اشتد إنكار أبي سعيد الخدري عليه – بخبر: («إنما الربا في النسيئة») ، ولم ينازعه الصحابة فيه، بل عارضوه في الحكم بأدلة أخرى، فدل على اتفاقهم على أنها للحصر فالتقدير: إن الأعمال تعتبر إذا كانت بنية، ولا تعتبر إذا كانت بلا نية، فتصير إنما بمعنى ما وإلا. وقيل: الحصر مستفاد من الجمع المحلى باللام، فإنه مفيد للاستغراق، وهو مستلزم للحصر،

[19] علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ): " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2002م، 1/ 41.

فالمعنى ليست الأعمال حاصلة بالنية، ولا يمكن هنا نفي نفس الأعمال لثبوتها حساً، وصورة من غير اقتران النية بها، فلا بد من إضمار شيء يتوجه إليه النفي، ويتعلق به الجار. [20]

فقيل: التقدير صحيحة، أو تصح كما هو رأي الشافعي، وأتباعه. وقيل: كاملة، أو تكمل على رأي أبي حنيفة، وأصحابه، والأظهر أن المقدر: مفترضة، أو تعتبر ; ليشمل الأعمال كلها سواء كانت عبادات مستقلات كالصلاة، والزكاة فإن النية تعتبر لصحتها إجماعاً، أو شروطاً في الطاعات كالطهارة، وستر العورة فإنها تفترض لحصول ثوابها اتفاقاً لعدم توقف الشروط على النية في الصحة، خلافا للشافعي في الطهارة فعليه بيان الفرق، أو أمورا مباحة فإنها قد تنعكس بالنيات حسنات كما أنها قد تنعكس سيئات بلا خلاف. غاية ما في الباب أن مرتبط الصحة، والكمال يعرف من الخارج، ولا محذور فيه، ويدل على ما قلنا أن الأعمال جمع محلى باللام فيستغرق كل عمل سواء أكان من العبادات، أو غيرها، ويشمل المتروكات أيضاً، فإنه لا ثواب في ترك الزنا، والغصب، ونحوها إلا بالنية، وإن كانت صحيحة بدونها، وكان هذا ملحظ من قال: المراد أعمال المكلفين. [21]

ويؤيده ما قال ابن دقيق العيد: "ولا تردد عندي أن الحديث يشمل الأقوال، ثم الباء للاستعانة. وقيل للمصاحبة ليعلم منه وجوب المقارنة لكنها تشعر بوجوب استصحابها إلى آخر العمل ; لأنه الظاهر من المعية، ولا قائل به. نعم، يشترط اتفاقا استصحابها مع العمل حكماً بأن لا ينشئ منافياً، وأيضا تشير إلى عدم جواز تقدمها على العمل، وهو منقوض بنية الزكاة فإنها جائزة عند أفراد مال الزكاة، وبنية الصوم في الليل فإنها أفضل بلا خلاف فالأولى هي الأولى،

[20] علي القاري: " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، 1/ 41.
[21] علي القاري: " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، 1/ 41.

وأوقات النيات في العبادات مختلفة، محل بسطها الكتب الفقهية، والنية بتشديد الياء، وقد تخفف لغة: القصد، وشرعا: توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه الله، والقصد بها تمييز العبادة عن العادة فإن قيل: النية عمل من أعمال القلب، فيحتاج إلى النية، وبتسلسل أجيب: بأن المراد أعمال الجوارح بدلالة العقل، وبدليل الخبر المعتبر: («نية المؤمن خير من عمله») ، وبدليل أن في العرف لا يطلق العمل على فعل الناوي"، اهـ. [22]

حبذ جماعة من أهل العلم أن يوردوا هذا الحديث في أول كتبهم، وقال عبد الرحمن بن مهدي: ينبغي أن يجعل حديث: "إنما الأعمال بالنيات" رأس كل باب. وقال الشافعي – رضي الله عنه –: يدخل في هذا الحديث ثلث العلم". وغرضهم في الابتداء بهذا الحديث الإعلام بأن تصنيف الكتاب وقراءته ليكن عن الإخلاص وصدق النية ورجاء الثواب من الله الكريم، ولتقوية الدين وإرشاد المسلمين عليه، لا عن الرياء وإظهار الفضل والمفاخرة على الناس. وراوي هذا الحديث: أبو حفص، "عمر بن الخطاب" بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله العدوي. [23]

---

[22] علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ): " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م، 1/ 41.

[23] الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: 727 هـ): " المفاتيح في شرح المصابيح"، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م، 1/ 3.

قال أبو داود: «الفقه يدور على خمسة أحاديث، «الأعمال بالنيات»، و «الحلال بين، والحرام بين»، و «وما نهيتكم عنه فانتهوا، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»، و «لا ضرر ولا ضرار». [24]

وقوله: ((إنما الأعمال بالنيات. إلخ)) هذه العبارة والتي قبلها معيار لكل عمل؛ لكنه مقياس الباطن، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) مقياس للأعمال الظاهرة. ولهذا قال أهل العلم: ((هذان الحديثان يجمعان الدين كله)) حديث عمر: ((إنما الأعمال بالنيات)) ميزان للباطن، وحديث عائشة: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا)) ميزان للظاهر. ثم ضرب النبي صلي الله عليه وسلم مثلاً يطبق هذا الحديث عليه، قال: ((فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله، فهجرته إلي الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)). [25]

إن الله تعالى أوحى إلى نبينا وإلى جميع الأنبياء عليهم السلام أن الأعمال بالنيات والحجة له قوله تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} (البينة: 5)، وقوله تعالى {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} الآية. والإخلاص: النية. قال أبو العالية: "وصاهم بالإخلاص في عبادته"، وقال مجاهد: "أوصيناك به والأنبياء ديناً واحداً ومعنى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء عليهم السلام" ثم علل الشرع المشترك بينهم فقال {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (الشورى: 13). إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب بهذا

[24] أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين الفاكهاني (المتوفى: 734هـ): " رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام"، تحقيق ودراسة: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م، 1/ 18.

[25] محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ): "شرح رياض الصالحين"، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: 1426 هـ، 1/ 19.

الحديث لما قدم المدينة حين وصل إلى دار الهجرة وذلك كان بعد ظهوره ونصره واستعلائه فالأول مبدأ النبوة والرسالة والاصطفاء وهو قوله باب بدء الوحي. والثاني بدء النصر والظهور ومما يؤيده أن المشركين كانوا يؤذون المؤمنين بمكة فشكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يغتالوا من أمكنهم منهم ويغدروا به فنزلت {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾} (الحج: 38)، فنهوا عن ذلك وأمروا بالصبر إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾} (الحج: 39). [26]

ولما كان الحديث مشتملاً على الهجرة، وكانت مقدمة النبوة في حقه صلى الله عليه وسلم هجرته إلى الله تعالى ومناجاته في غار حراء فهجرته إليه كانت من فضله باختياره ونزول الوحي عليه مع المساعدة الإلهية والتوفيق الرباني. وهو إنما أتى به على قصد الخطبة والترجمة للكتاب، وقال محمد بن إسماعيل التيمي: "لما كان الكتاب معقوداً على أخبار النبي صلى الله عليه وسلم طلب المصنف تصديره بأول شأن الرسالة وهو الوحي، ولم ير أن يقدم عليه شيئاً لا خطبة ولا غيرها، بل أورد حديث إنما الأعمال بالنيات بدلاً من الخطبة"، وقال بعضهم: "ولهذه النكتة اختار سياق هذه الطريق لأنها تضمنت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بهذا الحديث على المنبر، فلما صلح أن يدخل في خطبة المنابر كان صالحاً أن يدخل في خطبة الدفاتر". [27]

يقول الإمام بدر الدين العيني: "قلت هذا فيه نظر لأن الخطبة عبارة عن كلام مشتمل على البسملة والحمدلة والثناء على الله تعالى بما هو أهله، والصلاة على النبي صلى الله عليه

[26] بدر الدين العينى: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 1/ 17.
[27] بدر الدين العينى: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 1/ 17.

وسلم، ويكون في أول الكلام والحديث غير مشتمل على ذلك، وكيف يقصد به الخطبة مع أنه في أوسط الكلام، وقول القائل فلما صلح أن يدخل في خطبة المنابر إلى آخره غير سديد لأن خطبة المنابر غير خطبة الدفاتر، فكيف تقوم مقامها؟ وذلك لأن خطبة المنابر تشتمل على ما ذكرنا مع اشتمالها على الوصية بالتقوى والوعظ والتذكير ونحو ذلك، بخلاف خطبة الدفاتر فإنها بخلاف ذلك. أما سمع هذا القائل لكل مكان مقال غاية ما في الباب أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خطب للناس وذكر في خطبته في جملة ما ذكر هذا الحديث، ولم يقتصر على ذكر الحديث وحده. ولئن سلمنا أنه اقتصر في خطبته على هذا الحديث ولكن لا نسلم أن تكون خطبته به دليلاً على صلاحه أن تكون خطبة في أوائل الكتب لما ذكرنا فهل يصلح أن يقوم التشهد موضع القنوت أو العكس ونحو ذلك وذكروا فيه أوجها أخرى كلها مدخولة". [28]

وذكر العيني رجاله فقال: "وهم ستة الأول الحميدي هو أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميد بن أسامة بن زهير بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصي ومع خديجة بنت خويلد بن أسد زوج النبي صلى الله عليه وسلم في أسد بن عبد العزى من رؤساء أصحاب ابن عيينة توفي بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وروى أبو داود والنسائي عن رجل عنه وروى مسلم في المقدمة عن سلمة بن شبيب عنه الثاني سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك إمام جليل في الحديث والفقه والفتوى وهو أحد مشايخ الشافعي ولد سنة سبع ومائة وتوفي غرة رجب سنة ثمان وتسعين ومائة الثالث يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو

[28] بدر الدين العينى: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 1/ 17.

بن سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري المدني تابعي مشهور من أئمة". [29]

قال الطيبي: "كل الأعمال والنيات جمع محلى باللام الاستغراقية فأما أن يحملا على عرف اللغة فيكون الاستغراق حقيقياً، أو على عرف الشرع". ويبين الإمام الطيبي وحينئذ إما أن يبتغى بالأعمال الواجبات والمندوبات والمباحات وبالنيات الإخلاص والرياء وان يطلب بالأعمال الواجبات ومالا يصح إلا بالنية كالصلاة، ولا طريق إلى اللغوي لأنه ما بعث إلا لبيان الشرع فكيف ينافس بما لا فائدة له فيه فعندئذ يحمل إنما الأعمال بالنيات على ما اتفقت عليه أصحابنا أي ما الأعمال محسوبة بشيء من الأشياء كالبدء فيها والتلبس بها إلا النيات وما تفرد عنها لم يعتدّ بها. فإن سأل سائل: لم جعلت متعلقي الخبر والظاهر العموم كمستقر أو حاصل؟ فالإجابة: أنه حينئذ يكون تبياناً للغة لا إثباتاً لحكم الشرع، وقد سبق بطلانه، وقد ذكون (وإنما لكل امرئ ما نوى) على ما تحققه النيات من القبول والرد والثواب والعقاب، فيفهم من الأول أن الأعمال لا تكون معدودة ومسقطة للقضاء إلا إذا كانت مصحوبة بالنيات، ومن الثاني أن النيات إنما تكون مقبولة إذا كانت مقترنة بالإخلاص، فالأول قصر المسند إليه في المسند والثاني عكسه ويقرب منها الصلاة في الأرض المغصوبة فإنها محسوبة ومسقطة للقضاء لكن إيقاعها فيها حرام يستحق العقاب. [30]

ويمكن القول أنّ ((وإنما لكل امرئ ما نوى)) دليل على أنّ الأعمال تعد بحسب النيّة إن كانت خالصة لله فهي لله، وإن كانت للدنيا فهي لها، وإن كانت لنيل الثناء من البشر فهي لذلك،

---

[29] بدر الدين العينى: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 1/ 17.

[30] محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: 786هـ): "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: 1356هـ - 1937م، طبعة ثانية: 1401هـ - 1981م، 1/ 23.

وعلى هذا الفحوى ينبغي أن يقال ما بعد الفاء التفصيلية لأنه لن يكون المفصل خلاف المجمل وكذا عكسه فإن المعنى بالهجرة هي الهجرة المعروفة في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم بقوله: "لا هجرة بعد الفتح"، وواضح أن هذه الهجرة لا تستلزم إلا الإخلاص لأنّ الهجرة إلى الدنيا لا تقتضي النية التي في الطهارة مثلاً، وخلاصة القول أنه مبني على ثبوت المغايرة بين النية بمعنى الإخلاص والنية بمعنى القصد، وهو غير مسلم ولئن سلمنا ذلك لا نسلم أن الهجرة لا تتطلب النية التي في الطهارة مثلاً إذ لا بد للمهاجر أن يقصد الهجرة حتى يثاب ويكون ممتثلاً لأمر الشارع وفيه تعظيم لمعنى تلك الهجرة وتفخيم لشأنها أي هي الهجرة الكاملة وما سواها ليست بهجرة، ولهذا السر غير العبارة في متعلق الجزاء الثاني بلفظة ما تقليلاً لمنزلتها، وقد أورد البخاري هذا الحديث قبل البدء في أبواب الكتاب وقد وافق ما ثبت في علم الكلام أن أول ما يجب على المكلف هو القصد إلى النظر في معرفة الله تعالى إعلاماً بأن هذا الكتاب منوي فيه الإخلاص لله تعالى، مجنب عن الأغراض الدنيئة، والرياء ولما صحح فيه النيّة وصفى فيه الطوية. [31]

وحديث "إنما الأعمال بالنيات"، حديث صحيح مجمع على صحته، ومتفق على عظم موقعه وجلالته، وهو إحدى قواعد الإيمان وأول دعائمه وآكد الأركان، قال الشافعي رحمه الله: "يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه"، وقال أيضاً: "هو ثلث العلم"، وكذا قاله أيضاً غيره، وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، وقد اختلف في عدها، فقيل: ثلاثة، وقيل: أربعة، وقيل: اثنان، وقيل: حديث، وقد جمعت في جزء الأربعين، فبلغت أربعين حديثاً، لا يستغني متدين عن معرفتها؛ لأنها كلها صحيحة، جامعة قواعد الإسلام، في الأصول والفروع والزهد والآداب ومكارم الأخلاق وغير ذلك، وإنما يبدأ بهذا الحديث تأسياً بأئمة المسلمين ومتقدمي العلماء رضي الله عنهم، وقد ابتدأ به إمام أهل الحديث بلا منازعة أبو عبد الله البخاري صحيحه، ونقل جماعة

[31] شمس الدين الكرماني: "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، 1/ 23.

أن السلف كانوا يحبذون افتتاح الكتب بهذا الحديث؛ تنبيها للطالب على تصحيح النية وإرادة وجه الله تعالى بجميع الأعمال البارزة والخفية، وروي عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله قال: "لو صنفت كتاباً بدأت في أول كل باب منه بهذا الحديث"، وروي عنه أيضاً قال: "من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث"، وقال الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي الشافعي الإمام في كتابه (المعالم) رحمه الله تعالى: "كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث "الأعمال بالنيات" أمام كل شيء ينشأ ويبتدأ من أمور الدين؛ لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها." [32]

النية في اللغة نوع من القصد والإرادة. ويحتمل أن يكون التَّقدير في قوله: ((الأعمال بالنيات)): الأعمال صالحة، أو فاسدة، أو مقبولة، أو مردودة، أو مثاب عليها، أو غير مثاب عليها، بالنيات، فيكون خبراً عن حكم شرعي، وهو أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها، كقوله – صلى الله عليه وسلم: ((إنما الأعمال بالخواتيم))، أي: إن صلاحها وانحلالها وموافقتها وعدمه بحسب الخاتمة. وقوله بعد ذلك: ((وإنما لإمرىء ما نوى)) إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرا حصل له خير، وإن نوى به شراً حصل له شر، وليس هذا تكريراً محضاً للجملة الأولى، فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده وفقا للنية المقتضية لإيجاده، والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل على عمله وفقاً لنيته الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة، وقد تكون نيته مباحة، فيكون العمل مباحاً، فلا يحصل له به ثواب ولا عقاب، فالعمل في نفسه صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة

[32] عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر: "فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله"، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2003م، ص 9.

عليه، المقتضية لوجوده، وإثابة العامل وعقوبته وصحته بحسب نيته التي بها صار العمل صالحاً، أو فاسداً، أو مباحاً. [33]

إن الأعمال وإن تجزأت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر، وغير ذلك مما لا يمكن حصره وتحريه، فهي ثلاثة أقسام: طاعات ومعاص ومباحات؛ أما القسم الأول وهو المعاصي: وهي لا تتبدل عن موضعها بالنية، فلا ينبغي أن يتفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام: "إنما الأعمال بالنيات"، فيظن أن المعصية تتحول طاعة بالنية كالذي يغتاب إنسانا اعتباراً لقلب غيره، أو يطعم فقيراً من مال غيره، أو يبني مدرسة أو مسجداً أو رباطاً بمال حرام ونيته الخير فهذا كله جهل، والنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظلماً وعدواناً ومعصية؛ بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر، فإن عرفه فهو معاند للشرع، وإن جهله فهو عاص بجهله. [34]

أما القسم الثاني: الطاعات، وهي مقترنة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضعيف فضلها، أما الأصل فهي أن ينوي بها طاعة الله لا غير، فإن نوى الرياء صارت معصية، وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة، فيكون له بكل نية ثواب. والقسم الثالث: المباحات وما من شيء من المباحات إلا ويتحمل نية أو نيات يصير

---

[33] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ - 2004 م، 1/ 62.

[34] حسن علي الشاذلي: "الجنايات في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون"، دار الكتاب الجامعي، ص 133.

بها من محاسن القربات.. هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "حلالها حساب وحرامها عقاب". [35]

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات» كلمة شاملة تامة، فإن النية للعمل، كالروح للجسد، وإلا فكل واحد من الساجد لله، والساجد للشمس والقمر، قد وضع جبهته على الأرض، فصورتهما واحدة؛ ثم هذا أقرب الخلق إلى الله تعالى، وهذا أبعد الخلق عن الله. وقد قال الله تعالى: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾} [البلد: 17]. وفي الأثر: "أفضل الإيمان: السماحة والصبر". فلا تتم رعاية الخلق وسياستهم إلا بالجود، الذي هو العطاء؛ والنجدة، التي هي الشجاعة؛ بل لا يصلح الدين والدنيا إلا بذلك. ولهذا كان من لا يقوم بهما سلبه الأمر، ونقله إلى غيره؛ وقال تعالى: {هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾} (سورة محمد: الآية 38). [36]

وفي " المحيط ": "النية شرط لصحة الصلاة، وهي إرادتها بالقلب فرض والذكر باللسان سنة، فينبغي أن يقول: اللهم إني أريد صلاة كذا فيسرها وتقبلها مني، فعلها مني، كما يقول في الحج من معرفة أي صلاة يؤديها"، كذا في " المبسوط " قوله: بنية، إلى آخره، دلالة على أن الأصل في النية المقارنة بالشروع، والمراد بقوله: بعمل، أي عمل ينافي الصلاة حتى لم يكن السير إليها مفصولاً لعدم منافاته، وإذا فصل بينهما فعل مناف لا تكون النية حاضرة عند التحريمة،

---

[35] حسن علي الشاذلي: "الجنايات في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون"، 133.

[36] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " السياسة الشرعية"، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ، ص 46.

فبقي بلا نية فلا يصح. وفي " الينابيع ": ينص اتصال النية بالصلاة؛ تحقيقاً لمعنى الإخلاص، واشترطت في ابتدائها لتقع كلها مستويا، ولم ينص في حالته البقاء للحرج. والشرط أن يعلم بقلبه أية صلاة يصليها. وقيل: قربها أنه لو سئل عنها لأمكنه أن يجيب بديهة من غير فكر.م: (والأصل فيه) ش: أي في اشتراط النية م: (قوله عليه الصلاة والسلام: «الأعمال بالنيات» ش: هذا الحديث رواه الأئمة الستة في كتبهم عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص عن عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إنما الأعمال بالنيات» ولفظ مسلم: «الأعمال بالنيات» ، مثل لفظ الكتاب، وفي رواية: «الأعمال بالنية» ومعنى الأعمال بالنيات: "حكم الأعمال وثوابها يلصق بها"، ومن جملة الأعمال عمل الصلاة، ولا يمتاز إلا بالنية، لأن ابتداء الصلاة بالقيام وهو يوجد كثيراً ولا عبادة، فاقتضى إلى النية المميزة للعبادة عن العادة، فشرطت النية. [37]

فإن قلت: كيف يتحقق الاستنباط على شرطية النية أو على عدم الفصل بينها وبين التحريمة بهذا الحديث؛ فإن قوله – عَلَيْهِ السَّلَامُ –: "الأعمال"، من قبيل الاستلزام، على مذهب أبي يزيد، ومن قبيل المحذوف على مذهب الشيخين. وعلى التقديرين لا عموم له، وحكم الآخرة وهو الثواب مراد بالإجماع، فلا يكون حكم الدنيا وهو الجواز والفساد مراداً لأنه لا عموم له ولا للمقتضي ولا للمنزل. قلت: الجواز في حكم الآخرة أيضا؛ إذ الثواب يتعلق بالجواز، إذ لا ثواب بدونه. وقيل بعد كون العمل معتبراً بالنية: الحكم نوعان، فقلنا: يتطلب إلى النية بوقوعه معتبراً

[37] بدر الدين العينى: " البناية شرح الهداية"، 2 / 138.

شرعا. م: (ولأن ابتداء الصلاة بالقيام إليها، وهو متردد بين العبادة والعادة، ولا يقع التمييز إلا بالنية، والمتقدم من النية على التكبير كالقائم عنده) ش: أي كالموجود عند التكبير. [38]

المصادر:

_____

1-محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

2-أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ): " شرح معاني الآثار"، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه

[38] أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): " البناية شرح الهداية"، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م، 2 / 138، وانظر: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: 786هـ): " العناية شرح الهداية"، دار الفكر، 1/ 265.

وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي – الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، عالم الكتب، الطبعة: الأولى – 1414 هـ، 1994 م.

3-أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ): "سنن أبي داود"، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م.

4-أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " السنن الكبرى"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ – 2003 م.

5-محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): " الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988 م.

6- علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: 885هـ): " التحبير شرح التحرير في أصول الفقه"، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح الناشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م.

7- الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: "تفسير الشيخ أحمد حطيبة"/ مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 510 درسا].

8- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.

9- أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): "تفسير المراغي"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ – 1946 م.

10- محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ): " تفسير الشعراوي – الخواطر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م).

11- محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ): " تفسير الشعراوي – الخواطر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م).

12- عبد الرحمن بن ناصر ال سعدي (ت 1376هـ): "القواعد الحسان لتفسير القران"، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، 1420هـ- 1999م.

13- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ): " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

14- علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ): " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2002م.

15- الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: 727 هـ): " المفاتيح في شرح المصابيح"، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ – 2012 م.

16- أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين الفاكهاني (المتوفى: 734هـ): " رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام"، تحقيق ودراسة: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، 1431 هـ – 2010 م.

17- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ): "شرح رياض الصالحين"، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: 1426 هـ.

18- محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: 786هـ): "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: 1356هـ – 1937م، طبعة ثانية: 1401هـ – 1981م.

19- عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر: "فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله"، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2003م.

20- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً

من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ - 2004 م.

21- حسن علي الشاذلي: "الجنايات في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون"، دار الكتاب الجامعي.

22- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " السياسة الشرعية"، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

23- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): " البناية شرح الهداية"، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

24- محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: 786هـ): " العناية شرح الهداية"، دار الفكر.

المبحث الثاني

حديث (بني الإسلام على خمس)

الحديث:

عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان". [39]

وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»، فقال رجل: الحج، وصيام رمضان، قال: «لا، صيام رمضان، والحج» هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. [40]

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» وفي الباب عن جرير بن عبد الله: «هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه

---

[39] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ، 1/ 11.

[40] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1/ 45.

عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا، وسعير بن الخمس ثقة عند أهل الحديث» حدثنا أبو كريب قال: حدثنا وكيع، عن حنظلة بن أبي سفيان الجمحي، عكرمة بن خالد المخزومي، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه: «هذا حديث حسن صحيح».[41]

عن ابن عمر، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: " بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان ". وهذا الحديث يشير على أن الإسلام مبني على خمس أركان، وهذا يرشد على أن البخاري يرى أن الإيمان والإسلام مترادفان. ومعنى قوله صلي الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس ": أن الإسلام مثله كبنيان، وهذه الخمس: عمد البنيان وأركانه التي يثبت عليها البنيان. وقد روي في لفظ: " بني الإسلام على خمس دعائم ". أخرجه محمد بن نصر المروزي. وإذا كانت هذه دعائم البنيان وأركانه، فبقية خصال الإسلام كبقية البنيان، فإذا فقد شيء من بقية الخصال الداخلة في مسمى الإسلام الواجب نقص البنيان ولم يسقط بفقده. وأما هذه الخمس، فإذا انعدمت كلها سقط

---

[41] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): " سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م، 5/5. وانظر: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: 294هـ): " قدر الصلاة"، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1406هـ، 1/ 418، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م، 31/ 550، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ): " مسند أبي يعلى"، المحقق: حسين سليم أسد الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة: الأولى، 1404 – 1984، 13/ 489، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: 249هـ): " المنتخب من مسند عبد بن حميد"، المحقق: صبحي البدري السامرائي , محمود محمد خليل الصعيدي الناشر: مكتبة السنة – القاهرة الطبعة: الأولى، 1408 – 1988، ص 261.

البنيان ولم يدلل بعد زوالها وكذلك (إن) زال منها الركن الأعظم وهو الشهادتان، وزوالهما يكون بالإتيان بما يخالفهما ولا يلتقي معهما. وأما زوال الأربع البواقي: فاختلف العلماء هل يزول الاسم بزوالها أو بزوال واحد منها؟ أم لا يزول بذلك؟ أم يفرق بين الصلاة وغيرها فيزول بترك الصلاة دون غيرها؟ أم يتخصص زوال الإسلام بترك الصلاة والزكاة خاصة. [42]

وقد مثل الله ورسوله الإيمان والإسلام بالنخلة. قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾} [إبراهيم: 23 – 24] . فالكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد وهي أساس الإسلام، وهي جارية على لسان المؤمن وثبات أصلها هو ثبات المصادقة بها في قلب المؤمن، وسمو فرعها في السماء هو قمة هذه الكلمة وبسوقها وأنها تحرق الحجب ولا تتناهى دون العرش، وإتيانها أكلها كل حين: هو ما يرفع بسببها للمؤمن كل حين من القول الطيب والعمل الصالح، فهو ثمرتها. وجعل النبي صلي الله عليه وسلم مثل المؤمن أو المسلم كمثل النخلة. [43]

وقال طاوس: "مثل (الإسلام) كشجرة أصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا وكذا، وثمرها: الورع، ولا خير في شجرة لا ثمر لها، ولا خير في إنسان لا ورع فيه. ومعلوم أن ما دخل في مسمى الشجرة والنخلة من فروعها وأغصانها وورقها وثمرها إذا ذهب شيء منه لم يذهب عن الشجرة اسمها، ولكن يقال: هي شجرة ناقصة، وغيرها أكمل منها، فإن قطع أصلها وسقطت لم

---

[42] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): " فتح الباري شرح صحيح البخاري"، تحقيق: 1 – محمود بن شعبان بن عبد المقصود. 2– مجدي بن عبد الخالق الشافعي. 3 – إبراهيم بن إسماعيل القاضي. 4 – السيد عزت المرسي. 5 – محمد بن عوض المنقوش. 6 – صلاح بن سالم المصراتي. 7 – علاء بن مصطفى بن همام. 8 – صبري بن عبد الخالق الشافعي. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1996 م، 1/ 22. وانظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم"، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: السابعة، 1422هـ – 2001م، 1/ 145.

[43] ابن رجب: " فتح الباري شرح صحيح البخاري"، 1/ 27 – 28.

تبق شجرة، وإنما تصير حطبا، فكذلك الإيمان والإسلام إذا زال منه بعض ما يدخل في مسماه مع بقاء أركان بنيانه لا يزول به اسم الإسلام والإيمان بالكلية، وإن كان قد سلب الاسم عنه لنقصه بخلاف ما انهدمت أركانه وبنيانه فإنه يزول مسماه بالكلية، والله أعلم". [44]

وأما تحقيق كلمات المتن فوقع في الأصول بني الإسلام على خمسة في الطريق الأول والرابع بالهاء فيها وفي الثاني والثالث خمس بلا هاء، وفي بعض الأصول المعتمدة في الرابع بلا هاء، وكلاهما صحيح، والمراد برواية الهاء خمسة أركان أو أشياء أو نحو ذلك، وبرواية حذف الهاء خمس خصال أو دعائم أو قواعد أو نحو ذلك، والله أعلم. وأما تقدمة الحج وتأخره ففي الرواية الأولى والرابعة تقديم الصيام وفي الثانية والثالثة تقديم الحج. ثم تباين العلماء في انكار بن عمر على الرجل الذي قدم الحج مع أن بن عمر رواه كذلك كما وقع في الطريقين المذكورين، والأظهر والله أعلم أنه يحتمل أن ابن عمر سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بتقديم الحج ومرة بتقديم الصوم، فرواه أيضاً على الوجهين في وقتين فلما رد عليه الرجل وقدم الحج، قال ابن عمر: "لا ترد على ما لا علم لك به، ولا تعترض بما لا تعرفه، ولا تقدح فيما لا تتحققه بل هو بتقديم الصوم، هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وليس في هذا نفي لسماعه على الوجه الآخر. [45]

ويحتمل أن بن عمر كان سمعه مرتين بالوجهين، ثم لما رد عليه الرجل نسي الوجه الذي رده فأنكره، فهذان الاحتمالان هما المختاران في هذا، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى: "محافظة بن عمر رضي الله عنهما على ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[44] ابن رجب: " فتح الباري شرح صحيح البخاري"، 1/ 28.

[45] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، 1392، 1/ 178.

ونهيه عن عكسه تصلح حجة لكون الواو تقتضي الترتيب". وهو مذهب كثير من الفقهاء الشافعيين وشذوذ من النحويين ومن قال لا تقتضي الترتيب وهو المختار، وقول الجمهور فله أن يقول لم يكن ذلك لكونها تقتضي الترتيب، بل لأن فرض صوم رمضان نزل في السنة الثانية من الهجرة ونزلت فريضة الحج سنة ست وقيل سنة تسع بالتاء المثناة فوق ومن حق الأول أن يقدم في الذكر على الثاني فمحافظة بن عمر رضي الله عنهما لهذا. [46]

و"بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (بني الإسلام) أي أسس واستعمال الموضوع للمحسوس في المعاني مجاز بعلاقة المشابهة، وشبه الإسلام بتشييد وطيد وأركانه الآتية بقواعد مستتبة وثيقة حاملة لذلك فنعت الإسلام بالبناء استعارة ترشيحية. (على خمس) قيل: أراد بها قواعد فلذلك جردها عن التاء ولو أراد الأركان لألحقت. (شهادة) بجره وما بعده على الإبدال من خمس ويصح رفعه قيل ونصبه بإضمار أعني وخص هذه الخمس لأنها فرائض أعيان. (أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) أخذ منه أبو الطيب بأنه يحدد في صحة الإسلام تقدمة الإقرار بالتوحيد ولم يتابع عليه مع اتجاهه قال ابن حجر:" لم يذكر الإيمان بالملائكة والرسل واليوم الآخرة لأنه أراد تصديق الرسول في كل ما جاء به فيستلزم ذلك" (وإقام الصلاة) حذفت التاء في إقامة جوازاً. (وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)، وهذا الترتيب إما لأنه كان الإيجاب كذلك أو تقديماً للأفضل فالأفضل. [47]

---

[46] النووي: " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، 1/ 178.

[47] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ"، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م، 4/ 562 – 563.

إن الله [سبحانه] كلف الخلق إطاعته على الأبد، والانتهاء عن الآثام على الإطلاق، وليس يمر على العبد زمان، والعقل فيه ماثل، إلا والتكليف إليه متوجه بفعل طاعات، إما على جهة الوجوب أو الدب، في أعمال الجوارح والقلوب. وكذلك تفويض النهي متجه إليه على ذلك في السمع والبصر واليد والرجل والبطن والفرج، [وأعمال] القلوب من كبر وحسد، [وبغي] ورياء، وغير ذلك. فإذا كانت الأحكام ثابتة على الدوام، افتقر المكلف إلى يقظة ومراقبة، وذلك لا يكون إلا بدوام الذكر. ولسنا نعني حركة اللسان، بل ذكر القلب وتطلعه لما يرد من الرب، قال الله [تعالى] {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ}. وقال: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ}. وقال – عليه السلام –: (اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت). [48]

أما الصلاة والزكاة والصوم والحج: فلأنها ركائز الإسلام وأسسه، لما روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) فهذه أركان خمسة للدين. أما الشهادتان: فموضعهما الكلام. وأما الصلاة: فلأنها تالية الإيمان، وثانيته في الكتاب والسنة، أما في الكتاب فقوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}. [49]

وحكم أداء الصلاة اطاعة الأمر وسقوط الواجب بالأداء في الدنيا، وحدوث الثواب الموعود في الآخرة. وحكمتها تعظيم الله تعالى بجميع الأركان بالأعضاء ظاهرها وباطنها تنزها عن عبادة الأوثان قولاً وفعلاً وهيئة وثبوت نفس الصلاة بالكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقوله تعالى:

---

[48] علي بن إسماعيل الأبياري (المتوفى 616 هـ): " التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه"، 3/ 503.

[49] أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): " منحة السلوك في شرح تحفة الملوك"، المحقق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م، ص 31 – 32.

{إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء: 103] (النساء: الآية 102)، أي فرضاً مؤقتا، وغيرها من الآيات. وأما السنة: فحديث ابن عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا». متفق عليه. وأما الإجماع، فقد أجمعت الأمة من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا من غير نكير منكر ولا رد راد. [50]

قال البخاري رضي الله عنه (باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم بُني الإسلام على خمس وهو قول وفعل ويزيد وينقص)، قوله: (بُني الإسلام على خمس) اكتمال هذا الحديث شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان، ويجوز ذكر بعض الحديث إذا ارتبط به مقصد. إن البخاري لم يسبقه أحد في مثل ترتيب هذا الكتاب ومحاسنه كثيرة منها أنه بدأ بعد مقدمة الكتاب في شأن بدء الوحي بذكر كتاب الإيمان، ثم بكتاب الصلاة بسوابقها من الطهارة وغيرها، ثم بكتاب الزكاة وما يتعلق بها، ثم بكتاب الحج وأبوابه ثم بكتاب الصيام، قاصداً الاعتناء بالترتيب الذي رتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الذي فيه بيان قواعد الدين وأركان الإسلام. وقدم الإيمان لأنه تمام الأمر كله وأصله، إذ المتبقي مبني عليه مشروط به وبه النجاة في الدارين، ثم الصلاة لأنها عماد الدين، وبين العبد وبين الكفر ترك الصلاة، ولشدة الحاجة إليها لتكررها كل يوم خمس مرات، ثم الزكاة لكونها مقارنة الصلاة في أكثر من المواضع، أو لأنها أساس الإسلام أو لعناية الشارع بها لذكرها أكثر من

[50] أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): " البناية شرح الهداية"، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م، 2/ 5.

غيرها من الصوم والحج في الكتاب والسنة، أو لعمومها المكلف وغيره كما هو مذهب أكثر العلماء ثم الحج. [51]

قال الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاة وَآتوا الزَّكَاة}، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس"، وقال الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين. [52]

الصلاة:

((تقيم الصلاة المكتوبة)) وهي الصلوات الخمس، وما أوجبه الله عز وجل، وهنا يراد به الصلوات الخمس، أما ما لزم لأمرٍ عرضي مما تباين فيه أهل العلم كالعيد والوتر والكسوف هذه متباين في لزومها، والجمهور على استحبابها، الذي يدخل الجنة (إقامة الصلاة المكتوبة) وهل هناك فرق بين الإقامة والأداء؟ لأنه قال: ((تقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة)) تقيم الإقامة والاستقامة لا بد أن يكون هذا المقام قويماً مستقيماً، يُبتغى به ويراد به وجه الله عز وجل، وموافق لسنة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))، فليس فحوى إقامة الصلاة مجرد أداؤها على الوجه المسقط للطلب المجزئ وإن احتوى على مخالفات أو لم يتأكد فيه جوهر الصلاة وهو الخشوع، (تقيم الصلاة) هذا الإنسان الذي خرج من صلاته وليس له منها شيء، نعم ما يؤمر بإعادتها؛ لأنها مكتملة الأركان والشروط؛ لكن هل يدخل في هذا الحديث، هل مثل هذه الصلاة التي خرج صاحبها بالعشر من أجلها تكفر ما بينها وبين الصلاة الأخرى؟ لا، يقول شيخ

---

[51] محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: 786هـ): " الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان طبعة أولى: 1356هـ - 1937م طبعة ثانية: 1401هـ - 1981م، 1/ 69.

[52] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): " الوسيط في المذهب"، المحقق: أحمد محمود إبراهيم، محمد محمد تامر الناشر: دار السلام - القاهرة الطبعة: الأولى، 1417هـ، 2/ 5.

الإسلام: إن كفرت نفسها يكفي، كثير من الناس –والله يغفر ويصفح لكثير من طلاب العلم ونحن منهم– ندخل الصلاة ونخرج كأننا ما عملنا شيء، لب الصلاة، حضور القلب، الخشوع، الانكسار بين يدي الله عز وجل، هذا لا يكاد يوجد، ولذا تجد الإمام خلفه خمسة صفوف يخطئ في القرآن، ويغلط في عدد الركعات ويسهي كثيراً ما يجد من يرد عليه، وكثير من المصلين إذا سلم الإمام تقول: ماذا قرأ؟ ماذا قرأ الإمام وهو من الحفاظ ما يجيبك بشيء، والله ما يدري ماذا قال؟ فإقامة الصلاة غير أداء الصلاة، نستلزم إلى إقامة الصلاة، لا بد أن نفقه كيف نقيم الصلاة في ظاهرها وباطنها، كيف نخرج منها بالأجر الكامل. [53]

أما الصلاة، فهي أكبر العبادات بعد استيفاء القواعد، ولذلك كانت مستتبة [الآثار] في [كتاب] الله عز وجل، قال الله تعالى: {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ}. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة). الحديث. و (أول ما ينظر [فيه] من عمل العبد الصلاة). [54]

وأما فرضية الخمس فقوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} [البقرة: 238] (البقرة: الآية 238)، وهذه الآية قاطعة الدلالة على فرضية الخمس لأنه تعالى فرض جمعاً من الصلوات والصلاة الوسطى معها وأقل جمع صحيح معه وسطى هو الأربع دون الثلاث، وما قيل: إن اللام إذا دخلت على الجمع يراد بها الجنس، لا يستقيم هاهنا لأنه إنما يراد به الجنس

---

[53] عبد الكريم الخضير: "شرح جوامع الأخبار"، مؤلف الأصل: المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: 1376هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 10 دروس]، 2/ 4.

[54] علي بن إسماعيل الأبياري (المتوفى 616 هـ): " التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه"، (تنبيه) / ورد على الغلاف عام الوفاة 618 لكن المحقق رجح في المقدمة أن الوفاة عام 616 المحقق: د. علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري أصل التحقيق: أطروحة دكتوراة للمحقق الناشر: دار الضياء – الكويت (طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر) الطبعة: الأولى، 1434 هـ – 2013 م، 3/ 502.

إذا لم يكن ثمة معهودة فهو منه، وهاهنا يرجع إلى المفروضات في الشرع. ولئن سلم حمله على الجنس لا يمكن حمله على أقل الجنس، هاهنا بالإجماع ولا على كله بالإجماع، فعلم أن المراد أقل الجمع الذي يصح به الوسطى خمس، وعلى قول أكثر أهل اللغة لا تصير للجنس بدخول اللام بل يبقى جمعا عاما في أنواع الجموع، وهو اختيار صاحب " الكشاف " و " المفتاح "، فحينئذ لا يرد الإشكال وهو قَوْله تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾} [الروم: 17] (الروم: الآية 17) أراد به المغرب والعشاء، وحين تصبحون أراد به الصبح وعشيا أراد به صلاة العصر وحين تظهرون الظهر. [55]

الزكاة:

((وتؤدي الزكاة المفروضة)) هناك تقيم، وهنا تؤدي للفرق بينهما؛ لأن الزكاة مال ينتزع من هذا المبلغ، ويدفع إلى المستحق، ما يختلف في فلان عن فلان، فلان أداه بنفسه، أداه بشيك، أداه بنقد، أعطاه فلان، قال ادفعه لفلان، حول الحساب، ما يختلف، تؤدي المقصود أنك تؤديها إلى مستحقها، من أحد الأصناف الثمانية، أما تقيم لا، يختلف، الزكاة المفروضة مكتوبة، وإن كان الكتب والفرض عند أهل العلم يدلان على الوجوب ولا فرق بين الواجب والفرض عند الجمهور، إلا أن الألفاظ توحي بأن هناك فروق تدل على أن الكتب أكثر تأكيداً من الفرض، ولذا جاءت الصلاة لأنها أهم الأركان بكونها مكتوبة، والزكاة وهي التي تليها بكونها مفروضة. ((وتصوم رمضان)) يعني تصوم شهر رمضان إذا شهدت الشهر وثبت عندك دخوله يجب عليك أن تصوم

[55] بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): " البناية شرح الهداية"، 2/ 5.

{فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [(185) سورة البقرة] وهذا ركن من أركان الإسلام، والأركان الخمسة عند أهل العلم الركن الأول الذي لم يأت به لم يدخل في الإسلام أصلاً. [56]

والزكاة في اللغة: عبارة عن النماء، يقال زكا الزرع إذا نما، وفي عرف الفقهاء: "اسم لفعل أداء حق يجب للمال يعتبر في وجوبه الحول والنصاب لأنها توصف بالوجوب، وهو من صفات الأفعال دون الأعيان"، وقد يطلق على المال المؤدى لأن الله تعالى قال {وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: 43] ولا يصح الإيتاء إلا في العين، وسببها ملك النصاب النامي، وشرطها الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والخلو عن الدين وكمال نصاب حولي، وصفتها الفرضية، وحكمها الخروج عن عهدة التكليف في الدنيا والنجاة من العقاب والوصول إلى الثواب في العقبى. قال (الزكاة واجبة على الحر) أي فريضة لازمة بالكتاب وهو قوله تعالى {وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: 43] والسنة المعروفة وهي «بني الإسلام على خمس» الحديث وإجماع الأمة. [57]

الصوم:

وأما الصوم، فأشار به إلى نزاع من ادعى أن صيام رمضان لا يتطلب نية؛ لأنه متمايز بنفسه كما نقل عن زفر، وهذا تقدم الكلام فيه، وقدم المصنف الحج على الصوم تمسكاً بما ورد عنده في حديث: ((بني الإسلام على خمس، بني الإسلام على خمس)) حديث ابن عمر –رضي

---

[56] عبد الكريم الخضير: "شرح جوامع الأخبار"، مؤلف الأصل: المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: 1376هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 10 دروس]، 2/ 5.

[57] محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: 786هـ): " العناية شرح الهداية"، دار الفكر الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، 2/ 153.

الله عنه–ما قال: ((بني الإسلام على خمس)) هذا المتفق عليه، ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان)) قدم الحج على صوم رمضان، وهذا اللفظ هو المتفق عليه، وهو الذي اعتمده الإمام البخاري، وهو الذي بنا عليه ترتيب كتابه، فقدم الحج على الصيام. عامة أهل العلم قدموا الصيام على الحج، ورأوا الصيام أكثر تأكيداً من الحج، الحج ورد فيه نصوص قوية جداً –يعني مخيفة بالنسبة لمن وجد الزاد والراحلة ولم يحج–، وورد أيضاً أحاديث في الصيام، لكن البخاري قدم اللفظ المتفق عليه، وغيره اعتمد الرواية الأخرى وهي في صحيح مسلم، وهي في صحيح مسلم لما عدد الدعائم قال: ((وصوم رمضان، والحج)) قال القائل لابن عمر: "الحج وصوم رمضان؟ قال: لا، صوم رمضان والحج"، اللفظ المتفق عليه الحج وصوم رمضان في صحيح مسلم وهو الذي اعتمده جمهور بل جماهير المصنفين في تقدمة الصوم على الحج وفي تعدادهم لأركان الإسلام، اعتمدوا الرواية التي تفرد بها مسلم عن البخاري في تقديم الصوم على الحج. [58]

صوم شهر رمضان ركن من أركان الإسلام وفرض من فرائضه، والدليل عليه ما روى ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان." فصل: ويتحقق وجوب ذلك على كل مسلم بالغ عاقل طاهر قادر مقيم. [59]

---

[58] شرح صحيح البخاري مؤلف الأصل: محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 26 درسا]، 15/ 8.

[59] أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: 476هـ): " المهذب في فقه الإمام الشافعي"، دار الكتب العلمية، 1/ 324.

وعقب الزكاة بالصوم اقتداء بالحديث حيث قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان» (هو) لغة: "الإمساك"، وشرعاً "ترك الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب"، لم يقل نهارا كما قال بعضهم؛ لأنه قد يوصف أيضاً على ما بعد طلوع الشمس إلى غروبها كما قال – صلى الله عليه وسلم – «صلاة النهار عجماء». [60]

الحج:

وأما رواية تقدمة الحج فكأنه وقع ممن كان يعتقد الرواية بالمعنى، ويرى أن تأخر الأول أو الأهم في الذكر شائع في اللسان، فتصرف فيه بالتقديم والتأخير لذلك مع كونه لم يسمع نهى ابن عمر رضي الله عنهما، عن ذلك فافهم ذلك فإنه من المشكل الذي لم أرهم بينوه هذا آخر كلام الشيخ أبي عمرو بن الصلاح، وهذا الذي قاله ضعيف من وجهين أحدهما أن الروايتين قد ثبتتا في الصحيح، وهما صحيحتان في المعنى لا تنافي بينهما، فلا يجوز تفنيد إحداهما، الثاني أن فتح باب احتمال التقديم والتأخير في مثل هذا قدح في الرواة والروايات. [61]

والحج في اللغة: "القصد إلى الشيء المعظم". وفي الشرع: "قصد موضع مخصوص، وهو البيت بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة"، وهو فريضة محكمة، وهو أحد أركان الإسلام ثبتت فرضيته بالكتاب، وهو قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران: 97]. والسنة: وهو قوله – عليه الصلاة والسلام –: «بني الإسلام على خمس» الحديث.

---

[60] محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا – أو منلا أو المولى – خسرو (المتوفى: 885هـ): " درر الحكام شرح غرر الأحكام"، دار إحياء الكتب العربية الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، 1/ 196.

[61] النووي: " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، 1/ 178.

وقوله: «وحجوا بيت ربكم» وعليه انعقد الإجماع، وسبب وجوبه البيت لإضافته إليه، ولهذا لا يتكرر لأن البيت لا يتكرر، ويجب على الفور. وعن أبي حنيفة ما يدل عليه، فإنه قال: من كان عنده ما يحج به ويريد التزوج يبدأ بالحج، ولأن الموت في السنة غير نادر، بخلاف وقت الصلاة فإن الموت فيه نادر، ولهذا كان التعجيل أفضل إجماعا. قال: (وهو فريضة العمر، ولا يجب إلا مرة واحدة) لما روي أنه «لما نزل قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران: 97]. قال رجل: يا رسول الله أفي كل عام؟ قال: " لا بل مرة واحدة». [62]

وقوله: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)، وقوله صلى الله عليه وسلم ((بني الإسلام على خمس)) فذكر الحج، وقوله- للذي سأله عن الإسلام-: ((وحج البيت)) وقوله: ((حُجوا قبل أن لا تحجوا)) ولإجماع الأمة عليه. [63]

قال القاضي -رحمه الله-: "الحج فرض واجب على مستطيعه" إلى قوله: "وفرض الحج." والحج في اللغة بكسر الحاء، وفتحها، "هو القصد مطلقًا"، وفي الشريعة: "قصد البيت الحرام لأداء الفريضة المعلومة التي (هي) أحد أركان الإسلام". والأصل في وجوبها الكتاب والسنة والإجماع،

---

[62] عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: 683هـ) عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقا): " الاختيار لتعليل المختار"، مطبعة الحلبي – القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية – بيروت، وغيرها) تاريخ النشر: 1356 هـ - 1937 م، 1/ 139.

[63] أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (المتوفى: 451 هـ): " الجامع لمسائل المدونة"، المحقق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعها) توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، 1434 هـ - 2013 م، 4/ 370.

أما الكتاب فقوله تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا} [الحج: 29] وقال -عليه السلام- : (بني الإسلام على خمس) وذكر فيها الحج. [64]

الحج فرض على المستطيع من أحرار المكلفين لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}، وقوله: {وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾}، قيل: معناه من لم ير الحج واجبًا، وقوله: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}، وقوله: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا}، وقوله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: فذكر الحج"، وقوله للذي يسأله عن الإسلام: "وحج البيت"، وقوله: "حجوا قبل أن لا تحجوا". [65]

قوله عز وجل: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ}، أي ولله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الإسلام. عن ابن عمر قال، قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان» فعد النبي صلّى الله عليه وسلّم الحج من أركان الإسلام الخمسة و «من استطاع إليه سبيلا» يعني وفرض الحج واجب على ما استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل إلى حج البيت الحرام. [66]

---

[64] أبو محمد، وأبو فارس، عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي المعروف بابن بزيزة (المتوفى: 673 هـ): " روضة المستبين في شرح كتاب التلقين"، المحقق: عبد اللطيف زكاغ الناشر: دار ابن حزم الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م، 1/ 553.

[65] أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: 422هـ): " المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، المحقق: حميش عبد الحقّ الناشر: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ص 497.

[66] علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ): " لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 1/ 272.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى» عن أبي سعيد الخدري أن النبي عليه السلام قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى». وعن أبي ذر قال، قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن أول بيت وضع للناس مباركا يصلي فيه الكعبة قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى قلت كم بينهما؟ قال أربعون عاما». عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن وإنما سودته خطايا بني آدم» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وله عنه قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحجر: «والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق» وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب.« قال الترمذي: وهذا يروي عن ابن عمر موقوفاً. [67]

وعن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال له رجل: في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» عن ابن عمر قال: «جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله ما يوجب الحج؟ قال الزاد والراحلة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وإبراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه. عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» وفي رواية سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «من

[67] علاء الدين الخازن: " لباب التأويل في معاني التنزيل"، 1/ 272 – 273.

حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» أخرجه الترمذي وقال: «غفر له ما تقدم من ذنبه» وعن ابن مسعود أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب إلّا الجنة.

قال العلماء: الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الإسلام الخمسة. ولوجوب الحج خمس شرائط: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة، ولا يجب على الكافر والمجنون، ولو حجا لم يصح لأن الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل، أو حج عبد صح حجهما تطوعا، ولا يسقط الفرض فإذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما. وما من مؤمن يظل يومه محرما إلا غابت الشمس بذنوبه» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما من مسلم لبى إلا بلي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا وقال الترمذي: هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» قال الترمذي: هذا حديث غريب.[68]

[68] علاء الدين الخازن: " لباب التأويل في معاني التنزيل"، 1/ 273.

المصادر والمراجع:

_____

1-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.

2- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

3- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): " سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

4- المَرْوَزِي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (المتوفى: 294هـ): " قدر الصلاة"، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1406هـ.

5-أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

6-أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ): " مسند أبي يعلى"، المحقق: حسين سليم أسد الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق الطبعة: الأولى، 1404 - 1984.

7-أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: 249هـ): " المنتخب من مسند عبد بن حميد"، المحقق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي الناشر: مكتبة السنة - القاهرة الطبعة: الأولى، 1408 - 1988.

8-زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): " فتح الباري شرح صحيح البخاري"، تحقيق: 1 - محمود بن شعبان بن عبد المقصود. 2- مجدي بن عبد الخالق الشافعي. 3 - إبراهيم بن إسماعيل القاضي. 4 - السيد عزت المرسي. 5 - محمد بن عوض المنقوش. 6 - صلاح بن سالم المصراتي. 7 - علاء بن مصطفى بن همام. 8 - صبري بن عبد الخالق الشافعي. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م، 1/ 22.

9-زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع

الكلم"، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: السابعة، 1422هـ – 2001م.

10- : "شرح جوامع الأخبار"، مؤلف الأصل: المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: 1376هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 10 دروس].

11- عبد الكريم الخضير:" شرح صحيح البخاري"، مؤلف الأصل: محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 26 درسا].

12- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، 1392.

13- محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: 786هـ): " الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان طبعة أولى: 1356هـ – 1937م طبعة ثانية: 1401هـ – 1981م.

14- محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ"، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولى، 1432 هـ – 2011 م.

15- علي بن إسماعيل الأبياري (المتوفى 616 هـ): " التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه"، (تنبيه) / ورد على الغلاف عام الوفاة 618 لكن المحقق رجح في المقدمة أن الوفاة عام 616 المحقق: د. علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري أصل التحقيق: أطروحة دكتوراة للمحقق الناشر: دار الضياء – الكويت (طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر) الطبعة: الأولى، 1434 هـ – 2013 م.

16- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): " منحة السلوك في شرح تحفة الملوك"، المحقق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر الطبعة: الأولى، 1428هـ – 2007م.

17- محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: 786هـ): " العناية شرح الهداية"، دار الفكر الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

18- عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: 683هـ) عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقا): " الاختيار لتعليل المختار"، مطبعة الحلبي – القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية – بيروت، وغيرها) تاريخ النشر: 1356 هـ – 1937 م.

19- محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا – أو منلا أو المولى – خسرو (المتوفى: 885هـ): " درر الحكام شرح غرر الأحكام"، دار إحياء الكتب العربية الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

20- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): " البناية شرح الهداية"، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

21- أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (المتوفى: 451 هـ): " الجامع لمسائل المدونة"، المحقق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعها) توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، 1434 هـ - 2013 م.

22- أبو محمد، وأبو فارس، عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي المعروف بابن بزيزة (المتوفى: 673 هـ): " روضة المستبين في شرح كتاب التلقين"، المحقق: عبد اللطيف زكاغ الناشر: دار ابن حزم الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م.

23- أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: 422هـ): " المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، المحقق: حميش عبد الحقّ الناشر: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

24- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): " الوسيط في المذهب"، المحقق: أحمد محمود إبراهيم، محمد محمد تامر الناشر: دار السلام - القاهرة الطبعة: الأولى، 1417هـ.

25- أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: 476هـ): " المهذب في فقه الإمام الشافعي"، دار الكتب العلمية.

26- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ): " لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

المبحث الثالث

حديث (الحلال بين والحرام بين)

عن الشعبي، سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثنا علي بن عبد الله، حدثنا ابن عيينة، حدثنا أبو فروة، عن الشعبي، قال: سمعت النعمان بن بشير، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا ابن عيينة، عن أبي فروة، سمعت الشعبي، سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن أبي فروة، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الإثم، كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم، أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه». [69]

عن الشعبي، قال: سمعت النعمان بن بشير، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما متشابهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول

---

[69] وأيامه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ، 3/ 53.

الحمى، فيوشك أن يواقعه، وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» إسناده صحيح. [70]

وعن الشعبي، قال: سمعت النعمان بن بشير، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحلال بين والحرام بين وبين الحلال والحرام أمور متشابهات، لا يدري كثير من الناس من الحلال هي أم من الحرام؟ فمن تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن واقع شيئا منها يوشك أن يواقع الحرام، كما أنه من يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه: ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه". [71]

---

[70] أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ): " مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)"، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م، 3/ 547. ولتخريج الحديث انظر: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: 316هـ): " مستخرج أبي عوانة"، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م، 3/ 400،

[71] أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: 369هـ): " كتاب الأمثال في الحديث النبوي"، المحقق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد الناشر: الدار السلفية - بومباي - الهند الطبعة: الثانية، 1408 - 1987م، ص 307، وانظر: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ): " شرح مشكل الآثار"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1494 م، 2/ 219، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 30/ 320، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ): " المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني قِطْعَةٌ مِنَ المُجَلَّدِ الحَادِي والعِشْرِينَ (يَتَضَمَّنُ جُزْءًا مِنْ مُسْنَدِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)"، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي الطبعة: الأولى: 1427هـ - 2006 م، 21/ 38.

لقد أعطي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، وكان عليه الصلاة والسلام ينطق بالحكمة القصيرة التي تخرج مخرج المثل، وتكون قاعدة كلية. ومبدأ عاماً، ينطوي على الأحكام الكثيرة، والفروع المتكررة، والمسائل المتعددة. مثل قوله – صلى الله عليه وسلم –: " المسلمون على شروطهم." وقوله: "إنما الأعمال بالنيات ." وقوله: "الدين النصيحة "، وقوله: " كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رَدّ "، وقوله: " الخَرَاج بالضَّمَان، وقوله عليه الصلاة والسلام: "الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن[72]."

يقول الخطابي: " قلت: هذا الحديث أصل في الورع، وفيما يجتنب من الشبه، وكل شيء أشبه الحلال من وجه والحرام من وجه فهو، شبهة، والورع أن يجتنب فلا يقرب، وهو معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)". [73]

قال أحمد بن حنبل: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث؛ «الأعمال بالنية»، و «الحلال بين، والحرام بين»، و «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد». [74]

هذا الحديث أساس في باب الورع وما يجتنب من الشبه. والشبه: "كل ما أشبه الحلال من وجه والحرام من آخر"، والورع: "اجتنابها" فالحلال البين: "ما علم المرء ملكه يقينًا لنفسه، والحرام البين عكسه"، والشبهة: "ما يجده في بيته فلا يدري أهو له أو لغيره". وقد تباين العلماء في حكم

---

[72] د. محمد مصطفى الزحيلي: " القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة"، الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الأولى، 1427 هـ – 2006 م، 1/ 30.

[73] أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت 388 هـ): " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة: الأولى، 1409 هـ – 1988 م، 2/ 997.

[74] أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين الفاكهاني (المتوفى: 734هـ): " رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام"، تحقيق ودراسة: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، 1431 هـ – 2010 م، 1/ 17.

المشتبهات عَلَى أقوال أسلفناها هناك، فرواية: "لا يعلمها كثير من الناس" دالة عَلَى الوقف. ورواية: "من وقع في الشبهات وقع في الحرام" دالة عَلَى أن تركها واجب. ورواية: "من رتع حول الحمى يوشك أن يواقعه" تدل عَلَى الحيل. وقيل: قوله: ("حَوْلَ الحِمَى") نهيٌ عما يشتبه فيه هو من الحمى أو مما حوله؟ فنزهه عما قرب منه، ولم يشك فيه خوفًا أن تزين النفس أنه ليس منه، ويحمل عَلَى الندب. والمشبوهات في الدماء والأموال والأعراض والفتيا والقضاء وغير ذَلِكَ، فأشدها الاجتراء عَلَى الفتيا بغير علم؛ لأنه قد تزين له نفسه أنه أهل لها وهو خلافه، قَالَ تعالى: {فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} (ص: 26). [75]

وتأويل قوله: "الحلال بين والحرام بين"، على معنيين: أحدهما: أن يكون ذلك في أمر من المأكول والمشروب والملبوس، وغيرها مما يملكه الناس إذا تحقق أن ذلك كان ملكا له، فإنه على قناعة ملكه في ذلك لا يبعد عن أصله إلا بقناعة زوال الملك، والحرام بين: هو مال غيره وامرأة غيره وخادم غيره، لا يستباح شيئاً من ذلك إلا بشرطه من نكاح أو هبة أو صدقة أو ملك يمين أو غير ذلك، وما بين ذلك فهو ما لم يتقدم له أصل من هذين الوجهين تحليل ولا تحريم [يتيقنه]، كالشيء يعده في مسكنه وفي مجاله فلا يدري هو ملكه أو مال غيره، فالورع أن يجتنبه، ولا يحرم عليه أن يأخذه؛ لأن يده عليه قائمة، ومن هذا النحو قوله صلى الله عليه وسلم: "إني لأمر بالتمرة لساقطة فلا آخذها خوفا أن تكون صدقة"، ورأى تمرة فقال: "لولا أني أخاف أن تكوني من الصدقة لأكلتك". [76]

---

[75] ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): " التوضيح لشرح الجامع الصحيح"، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، 14/ 34.

[76] أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي: " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، 2/ 997 – 998.

والمعنى الآخر: أن يكون الشيء الأصل (فيه) الإباحة أو الحظر، فما كان الأصل منه الإباحة، كالماء الذي توضأ به والأرض التي يصلى عليها، ومثل ذلك من الأمور التي وجدت في أصل الفطرة على حكم الإباحة، حتى يطرأ عليها ما يغيرها عن حكمها الأول، فإنه لا يضيق في مذهب الورع استخدامه على وجهه ولا يحبذ تجنبه، وإدراج الريب والشك على نفسه فيه، وما كان من ذلك في الأصل ممنوعاً لا يستباح إلا بشرائط وأسباب قد أخذ علينا مراعاتها فيه، وفي التمتع به، كالبهيمة لا يحل أكلها إلا بالذكاة، وشرائطها معلومة، والمرأة لا يحل نكاحها إلا بالعقد، وصفة ما يصح في العقد خصال معدودة، فإنه لا يجوز استعمال هذا النوع منه، ولا الاستباحة له ما لم يوجد تلك الأسباب مستوفاة بكمالها، والورع في مثل هذا فرض واجب. [77]

فأما الورع المستحب المندوب إليه، فهو ما يقع بين هذين الأصلين، مثل تجنب عاملة من يجتمع في ماله الحلال والحرام، وكمن صناعته صناعة محرمة، الوجوه أملاك وأموال، فإن قضية الورع ألا يعامل هؤلاء، ويجتنب أكل مالهم، وإن كانت في ظاهر الحكم غير محرمة، ما لم ينبه أن الذي يأخذه منها ثمن العين المحرمة. وأما الورع المكروه فهو ألا يقبل رخص الله تعالى التي رخص لعباده فيها، وخفف عنهم العبادة فيها كالإفطار في السفر وقصر الصلاة فيه، والتشدد والتشكك بحكم الخواطر، التي جماعها العنت والضيق والحرج وترك إجابة الداعي، ورد الهدية.[78]

روى عثمان بن سعيد، عن أبي عبيد، قال: جمع النبي – صلى الله عليه وسلم – جميع أمر الآخرة في كلمة: ((من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد))، وجمع أمر الدنيا كله في كلمة: ((إنما الأعمال بالنيات)) يدخلان في كل باب. وعن أبي داود، قال: "نظرت في الحديث المسند، فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم نظرت فإذا مدار الأربعة آلاف حديث على أربعة أحاديث:

---

[77] أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي: " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، 2/ 998 – 999.

[78] أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي: " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، 2/ 999 – 1000.

حديث النعمان بن بشير: ((الحلال بين والحرام بين))، وحديث عمر: ((إنما الأعمال بالنيات))، وحديث أبي هريرة: ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين)) الحديث، وحديث: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)). قال: فكل حديث من هذه ربع العلم". [79]

وعن أبي داود أيضا، قال: "كتبت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خمس مئة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب – يعني كتاب " السنن " – جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها: قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((إنما الأعمال بالنيات)) ، والثاني: قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) ، والثالث: قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يكون المؤمن مؤمنا حتى لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه))، والرابع: قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((الحلال بين، والحرام بين)). وفي رواية أخرى عنه أنه قال: الفقه يدور على خمسة أحاديث: ((الحلال بين، والحرام بين))، وقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لا ضرر ولا ضرار)) وقوله: ((إنما الأعمال بالنيات))، وقوله: ((الدين النصيحة))، وقوله: ((وما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم)). وفي رواية عنه، قال: أصول السنن في كل فن أربعة أحاديث: حديث عمر ((إنما الأعمال بالنيات))، وحديث: ((الحلال بين والحرام بين))، وحديث: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))، وحديث: ((ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس))". [80]

---

[79] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1424 هـ – 2004 م، 1/ 58.

[80] ابن رجب الحنبلي: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 1/ 58 – 59.

قولُ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–: "الحلالُ بيّن، والحرامُ بيّن"، قال إسحاق بن منصور: "قُلْتُ لإسحاقَ: تفسير: "الحلالُ بيّن، والحرامُ بيّن"؟ قَالَ: أمَّا ما جاء عَنِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–: "الحلالُ بيّن، والحرامُ بيّن"، نقول: ما أحلَّ اللَّهُ عز وجل في كتابِه، وأحله الرسول –صلى الله عليه وسلم– فذلك بيّن، لا يجوز إلَّا التمسك به، وكذلك الحرام بيّن في كتابِ اللَّهِ سبحانه وتعالى وبين الرسول –صلى الله عليه وسلم– إرادة الله سبحانه وتعالى في ذَلِكَ، كي ينتهيَ الناسُ عنه، وبيْن الحلالِ والحرام أمور مُشتبهةٌ تخفى على أهل العلمِ، فلا يدرون أيتقدمون عليها، أم يتأخرون عنها؛ لما لا يجدون في القرآنِ أو سنة رسولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بيانَ حلالها مِنْ حرامها، فالوقوف عند ذَلِكَ خير من التقحم عليها، وهي أمور مشكلة". مِنْ ههنا ذكر في غيرِ حديثٍ عَنِ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه –رضي الله عنهم–: أن الرجل ينبغي له أن يكونَ بينه وبين الحرامِ سترًا مِنَ الحلالِ، حَتَّى يكونَ قد استبرأ لدينِه وعرضه، فإنَّه إذا استوعبَ الحلال كله أفضى إلى الحرامِ، وقد ضرب النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– لذلك مثلًا، فقال: المتقدمُ على الشُبهةِ كالرَّاعي حولَ الحمى، يوشكُ أنْ يواقع الحمى. [81]

وإلا لم يبق المشبوهات، وإنما المعنى، والله أعلم أن الحلال من حيث الحكم بين بأنه لا يضير تناوله وكذلك الحرام بأنه يضير تناوله ويخرج عن الورع ويقرب إلى تناول الحرام، وعلى هذا فقوله «الحلال بين والحرام بين» اعتذار لترك ذكر حكمهما (مشتبهات) سبب تجاذب الأصول المبني عليها أصل الحلال والحرام فيها (استبرأ) بالهمز بوزن استفعل من البراءة، أي: طلب لدينه البراءة من النقصان ولعرضه من العيب والطعن (ومن وقع في الحرام) أي: كاد أن يقع فيه (حول الحمى) بكسر الحاء والقصر أرض يحميها الملوك، ويعيقون الناس عن الدخول فيها، فمن دخله

[81] إبراهيم النحاس: "الجامع لعلوم الإمام أحمد – شرح الأحاديث والآثار الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل"، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م، ص 384.

أو وقع فله العقاب ومن تحرز لذاته لا يقارب ذلك الحمى خوفا عن الوقوع فيه، والمحارم كذلك يعاقب الله على ارتكابها، فمن تحرز لنفسه لا يقاربها بالوقوع في الشبهات. [82]

"الحلال بين والحرام بين، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك". قال الحكيم: "هذا عند المحققين الموصوفين فطهارة القلوب ونور اليقين فأولئك هم أهل هذه الرتبة، أما العوام والعلماء الذين غذوا بالحرام فلا التفات إلى ما تطمئن إليه قلوبهم المحجبة بحجاب الظلمات" . قال الغزالي: "نظر الجاهل أن الحلال مفقود وأن السبيل إلى الوصول إليه مسدود حتى لم يبق من الطيب إلا الماء والحشيش الثابت في الموات وما عداه فقد أحالته الأيدي العادية وأفسدته المعاملات لفاسدة وليس كذلك بل قال المصطفى – صلى الله عليه وسلم – الحلال بين ولا تزال هذه الثلاثة وإنما الذي فقد العلم بالحلال وبكيفية الوصول إليه. (فدع ما يريبك) بفتح المثناة التحتية والفاء في فدع للتفريع عما قبلها أيم اترك ما حصل عنه ريب في القلب واضطراب فإنه من غير البين عادلا عنه. (إلى ما لا يريبك) مما يطمئن إليه القلب وتسكن إليه النفس ".[83]

قال القاضي عياض: "اختلف في حكم المشتبهات، فقيل: مواقعتها حرام وقيل حلال لكن يتورع عنه لاشتباهه، وقيل: لا يقال فيها لا حلال ولا حرام لقوله الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، فلا يحكم لها بشيء من الحكمين"، قال: "وقد أكثر العلماء من الكلام على تفسير المشتبهات، ونحن نبينها على أمثل طريقة، فاعلم أن الاشتباه هو الالتباس وإنما يطلق في مقتضى

[82] محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ): " حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه"، الناشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة – الثانية)، 2/ 476– 477.

[83] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ"، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولى، 1432 هـ – 2011 م، 5/ 444– 445.

هذه التسمية، ها هنا على أمر أشبه أصلاً ما وهو مع هذا يشبه أصلاً آخر يناقض الأصل الأول فكأنه كثر اشتباهه فقيل اشتبه بمعنى اختلط حتى كأنه شيء واحد من شيئين مختلفين، إذا عرفت ذلك فقد يكون أصول الشرع المختلفة تتجاذب فرعاً واحداً تجاذباً متساوياً في حق بعض العلماء ولا يمكنه تصوير ترجيح ورده لبعض الأصول يوجب تحريمه ورده لبعضها يوجب حله، فلا شك أن الاحوط ها هنا تجنب هذا ومن تجنبه وصف بالورع والتحفظ في الدين". [84]

ومن قواعد الشريعة، القاعدة الأولى: "الحلال بيّن والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات". والثانية: "فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة". وهذان حديثان نبويان كريمان: أولهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، ونصه متفق عليه. والحديث الأول جزء من حديث قيل إنه ثلث الإسلام. والمراد بالمشتبهات: "المسائل التي لم يعرف حلها ولا حرمتها، إما لتعارض الأَدلة فيها، أو ما اشتبه بالحرام الذي قد صح تحريمه. وليس من المشتبهات ما سكت عنه الشرع، بل الصحيح حله لعموم الأَدلة". [85]

وهو عند الترمذي من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما – وقال عنه: حديث حسن صحيح. والمراد بما يريبك: "أي ما تشك في حله فدعه إلى ما اتضح حله وتيقنت منه." وقد ذكر السرخسي رحمه الله الحديثين في سياق واحد وكأنه ذكر الثاني تفسيراً للأول. فمعنى الحديثين: أن الابتعاد عن الأمور المشتبهة والتي فيها ريبة وشك ولم يستيقن المسلم من كونها حلالاً هو الطريق إلى براءة الذمة؛ لأن من أتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. ومن أمثلة هاتين

[84] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): " حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع السنن)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، 1406 – 1986، 7/ 243 – 244.

[85] محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزيال: " مُوْسُوعَة القَواعِدُ الفِقْهِيَّة"، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ – 2003 م، 3/ 242.

القاعدتين ومسائلهما: إذا اشتبهت شاتان مذبوحتان مسلوختان إحداهما مذكاة والاخرى غير مذكاة وجب البعد عنهما. لأن إحداهما محرمة عيناً – وهي الميتة – والاخرى لأجل الاشتباه. [86]

وعن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس» فدل ذلك على أن القليل من الناس يعلم المشتبهات، ويقول الخطيب البغدادي: "والصحيح – والله أعلم – أن المتشابه يعلمه الراسخون في العلم، ولم ينزل الله تعالى في كتابه شيئاً إلا وقد جعل للعلماء طريقا إلى معرفته".[87]

وعن معقل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعملوا بالقرآن فحللوا حلاله، وحرموا حرامه، واقتدوا به، ولا تكفروا بشيء منه، وما تشابه عليكم، فردوه إلى الله، وإلى أولي العلم كي يخبروكم» وقد روي في الحروف المقطعة من {كهيعص} [مريم: 1] , أنها خبر عن صفات الله عز وجل , فقيل: الكاف من كاف , والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، فكأنه قال: هذا الكتاب من كاف هاد حكيم عليم صادق , يروى ذلك عن ابن عباس، وكذلك {الم} [البقرة: 1] و {المر} [الرعد: 1] و {الر} [يونس: 1] و {المص} [الأعراف: 1] , ليس منها شيء إلا وقد تكلم الناس في تأويله وأما قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} [آل عمران: 7]، فقد روي، عن مجاهد، أنه قال: يعلمون تأويله، ويقولون آمنا به. [88]

---

[86] محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزيال: " مُوْسُوعَة القَوَاعِدُ الفِقْهِيَّة"، 3/ 243.

[87] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): " الفقيه والمتفقه"، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية الطبعة: الثانية، 1421هـ، 1/ 210.

[88] الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): " الفقيه والمتفقه"، 1/211 –212.

عن مجاهد، قال: "والراسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون آمنا به قلت: ولو لم يكن الأمر هكذا، لم يكن للراسخين على العامة فضيلة، لأن الجميع يقولون آمنا به؟ فإن قيل: لو كان الأمر كذلك، لقال: يقولون آمنا به؟ قلنا: قد يجوز حذف واو النسق، وقيل: إنه في معنى الحال، فكأنه قال: والراسخون في العلم قائلين آمنا به، كأنهم يعلمونه في حال إيمانهم به والله أعلم". [89]

وليس من دأب الفقهاء أن يصفوا ما أمرنا به مما ليس غيره أفضل منه، ولا ما قطع الدليل على تحريمه، بأنه مكروه؛ فلذلك لا يرخص أن يقال في ترك شيء من الفرائض، ولا في المباح المطلق: إنه مكروه ولا يصفون أكل الميتة والذم والخنزير وشرب الخمر بأنه مكروه؛ لما كان مقطوعاً بتحريمه. وقد يقال في الفعل: إنه مكروه، إذا كان مغايراً في تحليله وتحريمه تبايناً حاصلاً مبرراً، مع عدم النص القاطع على أحد الأمرين، بل واقع به من جهة الاجتهاد وغلبة الظن، فيقال في مثل هذا: إنه بغيض فعله عند من أداه اجتهاده إلى تحريمه، فكان القول بذلك من فرضه وتجويزه لغيره القول بتحليله إذا كان ذلك جهد رأيه، فيكون ذلك مبغوضاً في حق عالم وفرضه، وغير مبغوض في حق غيره إذا اختلف اجتهادهما. وقد أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك بقوله: "الحلال بين، والحرام بين، وما بين ذلك أمور متشابهات لا يعلمها إلا قليل" وقال: "لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه، ومن حام حول الحمى، يوشك أن يقع فيه"، وقال: "دع ما يريبك لما لا يريبك". [90]

وروي عن أناس من الصحابة أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أعاريب يأتونا بلحمان مشروحة والجبن والسمن ما ندري ما كنه، إسلامهم قال: "انظروا ما حرم الله عليكم

---

[89] الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): " الفقيه والمتفقه"، 1/ 211.

[90] أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: 513هـ): " الوَاضِح في أصُولِ الفِقه"، المحقق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 1999 م، 1/ 159 – 160.

فأمسكوا عنه وما سكت عنه فإنه عفا لكم عنه، وما كان ربك نسياً واذكروا اسم الله عز وجل"، فيه توسعة من الله تعالى على عباده في الطعام الذي يأكلونه من الذبائح التي لا يعلم حال الذابح لها، ولو شاء لحرج عليهم فلم يبح لهم أكلها حتى يعلموا أن ذابحها ممن تحل ذبيحته، كما قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ} وهذا بخلاف التشريعات التي شرعها لهم في دينه وتعبدهم بها حيث أمرهم بطلب مشكلها من محكمها على ما يأتي في البيوع من قوله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات." وروى عن ابن عباس قال: "كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله تعالى نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ثم تلا {قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا} الآية". [91]

ومن المكروه لبس الحلي والحرير؛ لأن «النبي – صلى الله عليه وسلم – أخذ الذهب بيمينه والحرير بشماله وقال هذان حرامان على ذكور أمتي حل لإناثها» فإنما جوز اللبس بشرط أنوثة اللابس، ثم ما يتردد بين المنع والترخيص يترجح معنى الحظر فيه لقوله – عليه السلام – «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وترك لبس الحرير لا يريبه ولبسه يريبه، يظهره أن التجنب عن الحرام فرض والإقدام على المباح ليس بفرض فكان التحفظ في ترك لبس الحرير لكيلا يكون مواقعاً للحرام إن كان رجلاً. [92]

ومن هذا الباب أن يعلم أن عطب الصيد بإرسال أو رمي هو سبب الحل من حيث الظاهر فإن شاركهما معنى أو سبب يحتمل حصول التلف به والتلف به مما لا يفيد الحل لا يؤكل إلا

---

[91] يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين المَلَطي الحنفي (المتوفى: 803هـ): " المعتصر من المختصر من مشكل الآثار"، الناشر: عالم الكتب – بيروت، 1/ 266.

[92] محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ): " المبسوط"، الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: 1414هـ – 1993م، 30 / 106.

إذا كان ذلك المعنى مما لا يمكن الاحتياط عنه؛ لأنه إذا احتمل حصول التلف بما لا يثبت به الحل فقد احتمل الحل والحرمة فيرجح جانب الحرمة احتياطاً؛ لأنه إن أكل عسى أنه أكل الحرام فيأثم وإن لم يأكل فلا شيء عليه، والتحرز عن الضرر واجب عقلاً وشرعاً، والأصل فيه ما روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال لوابصة بن معبد – رضي الله عنه –: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وقال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما –: ما اجتمع الحلال والحرام في شيء إلا وقد غلب الحرام الحلال. [93]

وعلى هذا يجلو ما إذا رمى صيداً وهو يحلق فأصابه فسقط على جبل ثم سقط منه على الأرض فمات أنه لا يؤكل وهو تأويل المتردي؛ لأنه يتحمل أنه مات من الرمي ويتحمل أنه مات بسقوطه عن الجبل، وكذلك لو كان على جبل فأصابه فسقط منه شيء على الجبل ثم سقط على الأرض فمات، أو كان على سطح فأصابه فهوى فأصاب حائط السطح، ثم سقط على الأرض فمات، أو كان على نخلة، أو شجرة فسقط منها على جذع النخلة، أو ند من الشجرة ثم سقط على الأرض فمات، أو وقع على رمح مركوز في الأرض وفيه سنان فوقع على السنان ثم وقع على الأرض فمات، أو نشب فيه السنان فمات عليه، أو أصاب سهمه صيدا فوقع في الماء فمات فيه لا يحل؛ لأنه يحتمل أنه مات بالرمي ويحتمل أنه مات بهذه الأسباب الموجودة بعده، وقد روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «وإن وقع في الماء فلا تأكله فلعل الماء قتله» بين – عليه الصلاة والسلام – الحكم وعلل باحتمال موته بسبب آخر وهو وقوعه في الماء، والحكم المعلل بعلة يتعمم بعموم العلة. [94]

---

[93] علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ): " بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1406هـ – 1986م، 5/ 58.

[94] الكاساني الحنفي: " بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، 5/ 58.

ومن ذلك بيان ما يسن وما يستحب للصائم وما يكره له أن يفعله، فمن ذلك يسن للصائم السحور لما روي عن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «إن فصلاً بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور» ولأنه يستعان به على صيام النهار، وإليه أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – في الندب إلى السحور فقال: «استعينوا بقائلة النهار على قيام الليل وبأكل السحور على صيام النهار» والسنة فيها هو التأخير لأن معنى الاستعانة فيه أبلغ. وقد روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ثلاث من سنن المرسلين: تأخير السحور، وتعجيل الإفطار، ووضع اليمين على الشمال تحت السرة في الصلاة» وفي رواية قال: «ثلاث من أخلاق المرسلين.« ولو شك في طلوع الفجر فالمستحب له ألا يأكل هكذا روى أبو يوسف عن أبي حنيفة أنه قال: إذا شك في الفجر فأحب إلى أن يدع الأكل لأنه يحتمل أن الفجر قد طلع فيكون الأكل إفسادا للصوم فيحتاط عنه. [95]

والأصل فيه ما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال لوابصة بن معبد: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، ولو أكل وهو شاك لا يحكم عليه بضرورة القضاء عليه لأن فساد الصوم مشكوك فيه لوقوع الشك في طلوع الفجر مع أن الأصل هو بقاء الليل فلا يثبت النهار بالشك. وهل يكره الأكل مع الشك؟ روى هشام عن أبي يوسف أنه يكره. وروى ابن سماعة عن محمد أنه لا يكره والصحيح قول أبي يوسف، وهكذا روى الحسن عن أبي حنيفة أنه إذا شك فلا يأكل وإن أكل فقد أساء لما روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه

[95] الكاساني الحنفي: " بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، 2/ 105.

فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.« والذي يأكل مع الشك في طلوع الفجر يحوم حول الحمى فيوشك أن يقع فيه فكان بالأكل معرضا صومه للفساد فيكره له ذلك. [96]

ومن هذا الباب أيضاً مسألة في معاملة أصحاب الحرام، وينقسم حالهم إلى قسمين: أحدهما: أن يكون الحرام قائمًا بعينه عند الغاصب أو السارق أو شبه ذلك، فلا يجوز شراؤه منه ولا البيع به إن كان عينًا ولا أكله إن كان طعامًا ولا لبسه إن كان ثوبًا ولا قبول شيء من ذلك هبة ولا أخذه في دين، ومن فعل شيئًا من ذلك فهو كالغاصب. والقسم الثاني: أن يكون الحرام قد انقضى من يده ولزم ذمته فله ثلاث أحوال: الأولى: أن يكون السائد على ماله الحلال، فأجاز ابن القاسم معاملته وحرمها أصبغ. الثانية: أن يكون السائد على ماله الحرام فتمنع معاملته على وجه الكراهة عند ابن القاسم، والتحريم عند أصبغ. [97]

والثالثة: أن يكون ماله كله حرامًا، فإن لم يكن له قط مال حلال حرمت معاملته، وإن كان له مال حلال إلا أنه استفاد من الحرام ما زاد ماله، واستغرق ذمته فتباين في جواز معاملته بالجواز، والمنع والتفرقة بين معاملته بعوض فيجوز كالبيع وبين هبته ونحوها فلا يجوز. اهـ. قاله ابن جزي. قال أحمد زروق في مفتاح السداد شرح إرشاد السالك: "يعني هذا الكتاب الحلال ما انحلت منه التبعات من حقوق الله وحقوق عباده وهو ما جهل أصله على الصحيح، والشبهة ما لم يتعين حله ولا حرمته اهـ. وينبغي للمكلف أن يسلك سبيل السلف في الورع وهو على ثلاث درجات: ورع عن الحرام وهو واجب، وورع عن الشبهات وهو متأكد وإن لم يجب، وورع عن الحلال مخافة الوقوع في الحرام وهو فضيلة وهو ترك ما لا بأس به حذرًا مما به البأس، والأصل

---

[96] الكاساني الحنفي: " بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، 2/ 105.

[97] أبو بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي (المتوفى: 1397 هـ): " أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك»"، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، 3/ 347.

في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ، لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه))، إلى آخر الحديث"، وفي سراج الإخوان للعارف بالله عثمان بن فودى: "فاعلموا يا إخواني أن الحلال هو ما جهل أصله، والحرام ما حقق أنه ملك للغير، والشبهة ما لم يتعين حله ولا حرمته". [98]

وأما قول ابن وهب فوجهه: أن الحرام لما خالط ماله أصبح شائعاً فيه، فاذا عامله في شيء منه، فقد عامله في جزء من الحرام، فرأى ذلك من المتشابه، ومنع على وجه الحذر، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى المشتبهات، استبرأ لدينه"، وعرضه الحديث. وأما قول أصبغ فانه تشديد، على غير قياس، لأنه جعل ماله كله عيناً حراماً، لأجل ما خالطه من الحرام، فقال: ان من عامله فيه وجب عليه أن يتصدق بجميع ما أخذ، وهو بعيد، والله أعلم، ترجيح قول ابن وهب. فترك معاملته والامتناع من قبول هديته، أولى لمن أراد التورع لاسيما إذا كان ممن يقتدى به. [99]

ولذلك عرف الورع "هو ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس"، وأصله قوله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بين والحرام بين وبينهما شبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"، وهو مندوب إليه، ومنه الخروج عن خلاف العلماء بحسب الإمكان، فإن تباين العلماء في فعل هو مباح أم حرام فالورع الترك أو مباح أو واجب فالورع الفعل مع اعتقاد الوجوب أو مندوب أو حرام فالورع الترك أو مكروه أو واجب فالورع الفعل أم مشروع أو غير مشروع فالورع الفعل لأن

---

[98] الكشناوي: " أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك»"، 3/ 347 – 348.

[99] أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ): " مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)"، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني الناشر: دار الجيل، بيروت – دار الآفاق الجديدة، المغرب الطبعة: الثانية، 1414 هـ – 1993 م، 1/ 556.

المثبت للشرعية مقدم كالبنية المثبتة، كاختلاف العلماء في شرعية الفاتحة في صلاة الجنازة فمالك يقول ليس بمشروعة، والشافعي يقول مشروعة واجبة، فالورع القراءة، وكالبسملة قال مالك مكروهة في الصلاة، وقال الشافعي وأبو حنيفة واجبة فالورع أن تقرأ وعلى هذا المنوال، وهذا مع تقارب أدلة المختلفين أما إذا كان أحد الدليلين في منتهى الضعف بحيث لو حكم به حاكم لألغيناه لم يحسن الورع في مثل ما لو كان دليله فيما تدخله قضايا الحكام ولا ينقض. [100]

المصادر:

_____

1-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.

2-الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ): " مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)"، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م.

[100] أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ): " الذخيرة"، المحقق: جزء 1، 8، 13: محمد حجي جزء 2، 6: سعيد أعراب جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خبزة الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت الطبعة: الأولى، 1994 م، 13/ 246 - 247.

3-الإسفراييني، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري (المتوفى: 316هـ): " مستخرج أبي عوانة"، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م.

4-أبو الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف (المتوفى: 369هـ): " كتاب الأمثال في الحديث النبوي"، المحقق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد الناشر: الدار السلفية - بومباي - الهند الطبعة: الثانية، 1408 - 1987م.

5-الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (المتوفى: 321هـ): " شرح مشكل الآثار"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1494 م.

6-أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

7-الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ): " المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني قِطْعَةٌ مِنَ المُجَلَّدِ الحَادِي والعِشْرِينَ (يَتَضَمَّنُ جُزْءًا مِنْ مُسْنَدِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)"، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي الطبعة: الأولى: 1427هـ - 2006 م.

8-الزحيلي، د. محمد مصطفى: " القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة"، الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م.

9-الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388 هـ): " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.

10- الفاكهاني، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين (المتوفى: 734هـ): " رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام"، تحقيق ودراسة: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م.

11- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): " التوضيح لشرح الجامع الصحيح"، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

12- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1424 هـ - 2004 م، 1/ 58 .

13- النحاس، إبراهيم: "الجامع لعلوم الإمام أحمد - شرح الأحاديث والآثار الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل"، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

14- السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين (المتوفى: 1138هـ): " حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه"، الناشر: دار الجيل - بيروت، بدون طبعة (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة - الثانية).

15- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ"، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

16- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): " حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع السنن)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، 1406 - 1986.

17- آل بورنو، محمد صدقي بن أحمد بن محمد أبو الحارث الغزيال: " مُوْسُوعَة القَواعِدُ الفِقْهِيَّة"، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

18- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (المتوفى: 463هـ): " الفقيه والمتفقه"، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية الطبعة: الثانية، 1421هـ.

19- أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: 513هـ): " الوَاضِح في أصُولِ الفِقه"، المحقق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

20- المَلَطي، يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الحنفي (المتوفى: 803هـ): " المعتصر من المختصر من مشكل الآثار"، الناشر: عالم الكتب – بيروت.

21- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (المتوفى: 483هـ): " المبسوط"، الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: 1414هـ - 1993مـ.

22- الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي (المتوفى: 587هـ): " بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.

23- الكشناوي، أبو بكر بن حسن بن عبد الله (المتوفى: 1397 هـ): " أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك»"، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية.

24- القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (المتوفى: 520هـ): " مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)"، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني الناشر: دار الجيل، بيروت – دار الآفاق الجديدة، المغرب الطبعة: الثانية، 1414 هـ - 1993 م.

25- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (المتوفى: 684هـ): " الذخيرة"، المحقق: جزء 1، 8، 13: محمد حجي جزء 2، 6:

سعيد أعراب جزء 3 – 5، 7، 9 – 12: محمد بو خبزة الناشر: دار الغرب الإسلامي– بيروت الطبعة: الأولى، 1994 م.

الفصل الثالث

الصحابة والحكمة النبوية

المبحث الأول

ضوء من فقه الصحابة [101]

إن أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه ولازموه كانوا فقهاءَ؛ وذلك أنَّ طرق الفقه في حق الصحابة: خطاب الله تعالى، وخطاب رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عقل منهما، وأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عقل منها؛ فخطاب الله عز وجل هو القرآن، وقد أُنزل ذلك بلغتهم، وعلى أسباب عرفوها، وقصص كانوا فيها؛ فعرفوا مسطوره ومفهومه ومنصوصه ومعقوله؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم))، وقال أبو عبيدة في كتاب المجاز: "وخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتهم، يعرفون معناه، ويفهمون منطوقه وفحواه، وأفعاله التي فعلها من العبادات والمعاملات، والسير والسياسات، وقد شاهدوا ذلك كله وعرفوه، وتكرر عليهم وتبحروه.[1]"

نقل الزركشي في كتابه "البحر المحيط في أصول الفقه" فصلًا بعنوان: "في المجتهد من القدماء ومن الذي حاز الرتبة منهم" عن الكيا الهراسي، وعده فصلًا عظيم النفع، وقال؛ أي: الكيا الهراسي: "اعلم أن الخلفاء الراشدين الأربعة لا شك في حيازتهم هذه الرتبة، وأُلِحق بهم أهل الشورى الذين جعلهم عمر رضي الله عنهم...، وأما ابن مسعود فكان فقيه الصحابة، ومنتدبًا

---

[101] نشر ت في شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2017/10/3 ميلادي - 1439/1/12 هجري، على الرابط الاتي: https://www.alukah.net/sharia/0/121189/

للفتوى وكذلك ابن عباس، وزيد بن ثابت، ممن شهد الرسولُ صلى الله عليه وسلم بأنه أفرض الأئمة، والمعتبر تصديه لهذا المعنى مِن غير نكير، أو شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومراجعة الأولين له.[2]"...

ونقل الزركشي عن ابن برهان قوله: "أما الصحابة فلا شك أن الفقهاء المشهورين منهم من أهل الاجتهاد، وأساميهم معلومة في التواريخ، ولا شك في كون العشرة من أهل الاجتهاد، وكذلك من انتشرت فتاويه، كابن مسعود وعائشة وغيرهم، فإنهم كثرت فتاويهم، ونقل عن الحنفية أنهم قالوا: أبو هريرة، وابن عمر، وأنس، وجابر ليسوا فقهاءً؛ وإنما هم رواة أحاديث، وهو باطل؛ فإن ابن عمر أفتى في زمن الصحابة، وتأهل للإمامة فزهد فيها، وأبو هريرة ولي القضاء، وأنس وجابر أفتيا في زمن الصحابة، وأما التابعون فقد اشتهر المجتهدون فيهم، كسعيد بن المسيب والأوزاعي والنخَعي والشعبي، وقد نقل عن الشافعي أنه قال في الحسن وابن سيرين: واعظ ومعبر، ظن قوم أنه أراد أنهما ليسا من أهل الاجتهاد، وهذا باطل؛ فإن الحسن أفتى في زمن الصحابة، وابن سيرين كذلك، وقد شهد لهما أهل عصرهما بالجلالة والإمامة، وأما الفقهاء السبعة فأهلٌ للاجتهاد ولا محالة، وكذلك الفقهاء الخمسة أرباب المذاهب، وقد اختلف أصحابنا وأصحاب أبي حنيفة في المزني، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وابن سريج، فمنهم من ألحق هؤلاء برتبة المجتهدين في الدين، ومنهم من جعلهم من المجتهدين في المذاهب.[3]"

وبين الزركشي أن ما ذكره الكيا الهراسي في أبي هريرة تابعَ فيه القاضي، فإنه قال: "إنه لم يكن مفتيًا؛ وإنما كان من الرواة، والصواب ما قاله ابن برهان، وقد ذكره ابن حزم في الفقهاء من الصحابة، وقال عبد العزيز الحنفي في التحقيق: "كان أبو هريرة فقيهًا، ولم يعدم شيئًا من أسباب الاجتهاد، وقد كان يُفتي في زمن الصحابة، وما كان يُفتي في ذلك الزمان إلا فقيهٌ مجتهدٌ،

وقد جمع الشيخ أبو الحسن السبكي جزءًا في فتاوى أبي هريرة"، قال في المنخول: "والضابط عندنا فيه أن كل من علمنا قطعًا أنه تصدَّى للفتوى في أعصار الصحابة، ولم يمنع عنها فهو من المجتهدين، ومن لم يتصدَّ لها قطعًا فلا، ومن ترددنا في ذلك فيه ترددنا في صفته، وقد انقسمت الصحابة إلى متنسكين لا يعتنون بالعلم، وإلى معتنين به، فهم المجتهدون، ولا مطمع في عدِّ آحادهم بعد ذكر الضابط، وهو الضابط أيضًا في التابعين"، وعدَّ ابن حزم في الإحكام فقهاء الصحابة، فبلغ بهم مائة ونيفًا، وهذا حيف، وقد قال الشيخ أبو إسحاق في طبقاته: "أكثر الصحابة الملازمين للنبي صلى الله عليه وسلم كانوا فقهاءً؛ لأن طريق الفقه فيهم خطاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وكانوا عارفين بذلك؛ لنزول القرآن بلغتهم؛ ولهذا قال أبو عبيد في كتاب المجاز: "لم ينقل أن أحدًا من الصحابة رجع في تفسير شيء من القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال: ((أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم))، غير أن الذي اشتُهر منهم بالفتاوى والأحكام جماعةٌ مخصوصةٌ.[4]"

يُشير ابن القيِّم إلى أنَّ الراشدين والصحابة رضي الله عنهم لم يلتفتوا إلى عدد مِن الشبه؛ بما يؤدي إلى تجويز غلط الشاهد ووهمه وكذبه، وعدَّ هذا محض الفقه والاعتبار ومصالح العباد، وهو من أعظم الأدلة على جلالة فقه الصحابة وعظمته، ومطابقته لمصالح العباد، وحكمة الرب وشرعه، وأنَّ التفاوت الذي بين أقوالهم، وأقوال مَن بعدهم، كالتفاوت الذي بين القائلين.[5]

وعدَّ الذهبي من فقهاء الصحابة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقال: "من أكبر فقهاء الصحابة، كان فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجعون إليها، تفقَّه بها جماعة.[6]"

ومِن فقهاء الصحابة عبدالله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، حليف بني زهرة، وقد قيل: إنه عبدالله بن مسعود بن عاقل بن شمخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، كنيته: أبو عبدالرحمن، وهو ممن شهد بدرًا وسائر المشاهد، وكان من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، سكن الكوفة مرةً كان يلي بيت المال بها، ومات بالمدينة سنة ثنتين وثلاثين، وأوصى أن يدفن بجنب قبر عثمان بن مظعون، فصلى عليه الزبير بن العوام، ودُفن بالبقيع، وكان له يوم مات بضع وستون سنة، وكانتْ أمه أم عبد بنت الحارث بن زهرة بن كلاب .[7].

أسْلَم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بمكة، وهاجَر إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهدَه، وكان أحد حفَّاظ القرآن، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فلْيَقْرَأه على قراءة ابن أم عبد))، وكان أيضًا من فقهاء الصحابة، ذكرَه عمر بن الخطاب فقال:" كنيف مُلئ علمًا"، وبعثه إلى أهل الكوفة ليُقرئهم القرآن، ويعلمهم الشرائع والأحكام؛ فبثَّ عبدالله فيهم علمًا كثيرًا وفقَّه منهم جمًّا غفيرًا، وحدَّث عنه الأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، وزيد بن وهب، والحارث بن قيس، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وزر بن حبيش، وعبدالرحمن بن يزيد، وأبو معمر عبدالله بن سخبرة، وأبو عمرو الشيباني، وأبو الأحوص الجشمي، وغيرهم، وورد المدائن ثم عاد إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقام بها إلى حين وفاته.[8]

وقد عد أبو إسحاق الشيرازي أن من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم أبا عبدالرحمن عبدالله بن مسعود الهذلي، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((رضيت لأمتي ما رضي لها ابن

أم عبد))، وروى حارثة بن مضرب أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة: "أما بعد، فإني قد بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وعبدالله قاضيًا ووزيرًا، وإنهما مِن نُجَباء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وممن شهد بدرًا، فاسمعوا لهما وأطيعوا، فقد آثرتكم بهما على نفسي"، وروي عنه أنه قال: "أما إنه أطولنا فوقًا، كنيف مُلئ علمًا"، وروى أبو البختري أن عليًّا كرم الله وجهه قيل له: أخبرنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: عمن تسألونني؟ قالوا: عن عبدالله، قال: "علم القرآن والسنة"، وقال هذيل بن شرحبيل: سئل أبو موسى عن رجل ترك بنتًا، وبنت ابن، وأختًا، فقال: ايتِ ابن مسعود فسيتابعني، فجاء إليه، فقال: للبنت النصف، ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي للأخت، فأتيت أبا موسى وأخبرته، فقال: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم، وقال علقمة: قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فسألته، فقال: تسألوني وفيكم عبدالله بن مسعود؟! وروى يزيد بن عميرة، قال: لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوصنا، قال: التمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام.

وأخذ عن عبد الله العلمَ خلقٌ، منهم: علقمة والأسود وشريح وعبيدة السلماني والحارث الأعور، وقال الشعبي: ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفقه صاحبًا من عبد الله بن مسعود.[9]

ومن فقهاء الصحابة زيد بن ثابت، وكان أحد فقهاء الصحابة الجلة الفراض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفرض أمتي زيد بن ثابت))، وكان أبو بكر الصديق قد أمره بجمع القرآن في الصحف، فكتبه فيها، فلما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان واتفق رأيه ورأي الصحابة على أن يردَّ القرآن إلى حرف واحد، فوقع اختياره على حرف زيد، فأمره أن يُملي

المصحف على قوم من قريش جمعهم إليه، فكتبوه على ما هو عليه اليوم بأيدي الناس، والأخبار بذلك متواترة المعنى، وإن اختلفت ألفاظُها، وكانوا يقولون: غلب زيد بن ثابت الناس على اثنين: القرآن، والفرائض.[10]

ومن فقهاء الصحابة: أبو حميد الساعدي، عبد الرحمن بن سعد بن المنذر أبو حميد الساعدي من أكبر فقهاء الصحابة، وقد اختلف في اسمه، فقيل: عبد الرحمن بن سعد بن مالك، وقيل: عبدالرحمن بن سعد بن عمرو بن سعد، وقيل: المنذر بن سعد بن المنذر، أمه أمامة بنت ثعلبة الخزرجية، روى عنه من الصحابة جابر بن عبدالله، ومن التابعين عروة بن الزبير، والعباس بن سهل بن سعد، ومحمد بن عمرو بن عطاء، وخارجة بن زيد بن ثابت، وجماعة من تابعي المدينة، وتُوُفِّي سنة ستين للهجرة وروى له الجماعة.[11]

الهوامش:

---

[1]أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: 476هـ): "طبقات الفقهاء"، هذبه: محمد بن مكرم بن منظور (المتوفى: 711هـ) ، المحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1970م، ص35.

[2]أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ): "البحر المحيط في أصول الفقه"، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م، 8 / 244.

[3]الزركشي: "البحر المحيط في أصول الفقه"، 8 / 244 - 245.

[4]الزركشي: "البحر المحيط في أصول الفقه"، 8 / 245 - 246.

[5]محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م، 1 / 81.

[6]شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ): "تذكرة الحفاظ"، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م، 25/1.

[7]محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): "مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار"، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م، ص 29.

[8]المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ): "تاريخ دمشق"، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، 33 / 62.

[9]ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي: "طبقات الفقهاء"، ص 43 – 44.

[10]أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ): "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، المحقق: علي محمد البجاوي"، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ – 1992 م، 2 / 539.

المبحث الثاني

الصحابة والحكمة النبوية [102]

يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الزخرف: 43).

ومعنى الآية كما ذكر القاسمي في تفسيره: "فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يعني دين الله الذي أمر به وهو الإسلام. فإنه كامل الاستقامة من كل وجه[1] ."

ولقد لفت نظري شدة استمساك الصحابة رضوان الله عليهم بالوحي الذي أوحاه الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم، وشدة استمساكهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

فنجد الصحابي يذكر في روايته لحديث أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما ترك تطبيق السنة منذ أن سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذه نماذج من استمساك الصحابة بالسنة النبوية:

1-علي بن أبي طالب الله عنه :

---

[102] ينظر: مدونة خزائن الحكمة، الجمعة، 19 مارس 2021، على الرابط الاتي:
http://rawaahussain.blogspot.com/2021/03/blog-post_77.html

عن ابن أبي ليلى عن علي أن فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم أتت النبي صلى الله عليه وسلم تستخدمه خادماً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلك على ما هو خير لك منه"، قالت: وما هو؟ قال: "تسبحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين وتكبري ثلاثاً وثلاثين (وتحمدي أربعاً وثلاثين"، قال سفيان: لا أدري أيها (أربع وثلاثون) قال علي: فما تركتها منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. [2]

عن محمد بن كعب، عن (شبث) بن ربعي، عن علي بن أبي طالب، قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي، فقال علي لفاطمة: ايت أباك فسليه خادماً تتقي بها العمل؟ فأتت أباها حين أمست، فقال لها: "ما لك يا بنية؟" قالت: لا شيء جئت أسلم عليك، واستحيت أن تسأل شيئاً، حتى إذا كانت القابلة قال: ايت أباك فسليه خادماً تتقي بها العمل. فخرجت حتى إذا جاءته، قال: "مالك يا بنية؟" قالت: لا شيء يا أبتاه جئت لأنظر كيف أمسيت، واستحيت أن تسأله شيئاً. حتى إذا كانت الليلة الثالثة قال لها علي: امشي فخرجا جميعاً حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما أتى بكما؟" فقال له علي: أي رسول الله شق علينا العمل فأردنا ان تعطينا خادماً نتقي بها العمل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل أدلكما على خير لكما من حمر النعم؟" فقال علي: نعم يا رسول الله صلى الله عليك. قال: "تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مائة حين تريدان تنامان فتبيتان على ألف حسنة ومثلها حين تصبحان". قال علي: "فما فاتني منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليلة صفين فإني أنسيتها حتى ذكرتها من آخر الليل[3] .

عن عبد الرحمن بن هلال العَبْسي، عن جرير ابن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينتقص من أجورهم شيئا. ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها من غير أن ينتقص من أوزارهم شيئا". وأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- ناس من الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، يأتينا ناس من مصدقيك فيظلمونا. فقال: "أَرْضُوا مصدقيكم". قال جرير: فما صدر عني مصدق منذ سمعتها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إلا وهو عني راض[4] .

2-جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

عن طلحة بن نافع، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم إلى منزله، فأخرج إليه فلقا من خبز، فقال: "ما من أدم؟ " فقالوا: لا إلا شيء من خل، قال: "فإن الخل نعم الأدم"، قال جابر: "فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم"، وقال طلحة: ما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر[5] .

3-عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لَهِيعة حدثنا أبو الزُّبَير أخبرنا عَون بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: كنا جلوسا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال رجل: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بُكْرَةً وأَصِيلا، فقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: "من قال الكلمات؟ "، فقال الرجل: أنا، فقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: "والذي نفسي بيده، إني لأنظر إليها تَصْعد حتى فتحت لها أبواب السماء"، فقال ابن عمر: والذي نفسي بيده، ما

تركتها منذ سمعت رسول الله –صلي الله عليه وسلم –، وقال عون: ماتركتها منذ سمعتها من ابن عمر[6] .

4–جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه:

عن عبد الرحمن بن هلال العَبْسي، عن جرير ابن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينتقص من أجورهم شيئا. ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها من غير أن ينتقص من أوزارهم شيئا". وأتى النبي –صلى الله عليه وسلم– ناس من الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، يأتينا ناس من مصدقيك فيظلمونا. فقال: "أَرْضُوا مصدقيكم". قال جرير: فما صدر عني مصدق منذ سمعتها من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، إلا وهو عني راض[7] .

الهوامش:

_____

[1]محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ): "محاسن التأويل"، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ، 8 / 392.

[2]أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ): "عمل اليوم والليلة"، المحقق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1406 هـ، 1/ 473 – 474

[3]أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ): "عمل اليوم والليلة"، المحقق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1406، 1 / 475. وينظر: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: 219هـ): "مسند الحميدي"، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1996 م, 1 / 174. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، 4 / 355، السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ – 1974م ثم صورتها عدة دور منه، 1 – دار الكتاب العربي – بيروت.

2 – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار الكتب العلمية– بيروت (طبعة 1409هـ بدون تحقيق) 4 / 355. أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ): "مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار"، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، 3 / 107. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ): "الدعاء للطبراني"، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1413، ص

91. أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي» (المتوفى: 364هـ): "عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد"، المحقق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن – جدة / بيروت، ص 669. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): "الدعوات الكبير"، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة: الأولى للنسخة الكاملة، 2009 م، 1 / 505.

[4]أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (المتوفى 316 هـ): "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم"، تحقيق: الجزء 1، 2/ عباس بن صفاخان بن شهاب الدين، الجزء 3، 4/ الدكتور بابا إبراهيم الكميروني، الجزء 5، 6/ الدكتور محمد محمدي محمد جميل، الجزء 7/ الدكتور عبد الله بن محمد مدني بن حافظ، الجزء 8/ الدكتور بشير بن علي بن عمر، الدكتور رباح بن رضيمان العنزي، الدكتور عبد الله بن محمد مدني بن حافظ، الجزء 9، 10/ سراج الحق بن محمد هاشم، الجزء 11/ الدكتور محمد بن عبد الله بن عطاء الله عطية الله، الجزء 12/ الدكتور عبد الكريم بن إبراهيم آل غضية، الجزء 13/ الدكتور سالم بن عمر با عبد الله، الجزء 14/ الدكتور رباح بن رضيمان العنزي، الجزء 15/ الدكتور هاني بن أحمد بن عمر فقيه، الجزء 16/ الدكتور عمر مصلح الحسيني، الجزء 17، 18/ الدكتور أحمد بن حسن الحارثي، الجزء 19، 20/ الدكتور عبد الله بن محمد بن سعود آل مساعد، تنسيق وإخراج: فريق من الباحثين بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1435 هـ – 2014 م، 363/8.

[5]عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: 656 هـ): "مختصر صحيح مسلم «للإمام أبي الحسين"، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، 1407 هـ – 1987 م، 2 / 353، صهيب عبد الجبار: "المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة"، عام النشر: 2013، بدون بيانات أخرى، 19 / 188.

[6]أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد وآخرون، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الراسالة، ط1، 1421 هـ – 2001 م، 10، 15. صهيب عبد الجبار: "المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة"، 11 / 126.

[7] أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (المتوفى 316 هـ): "المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم"، تحقيق: الجزء 1، 2/ عباس بن صفاخان بن شهاب الدين، الجزء 3، 4/ الدكتور بابا إبراهيم الكميروني، الجزء 5، 6/ الدكتور محمد محمدي محمد جميل، الجزء 7/ الدكتور عبد الله بن محمد مدني بن حافظ، الجزء 8/ الدكتور بشير بن علي بن عمر، الدكتور رباح بن رضيمان العنزي، الدكتور عبد الله بن محمد مدني بن حافظ، الجزء 9، 10/ سراج الحق بن محمد هاشم، الجزء 11/ الدكتور محمد بن عبد الله بن عطاء الله عطية الله، الجزء 12/ الدكتور عبد الكريم بن إبراهيم آل غضية، الجزء 13/ الدكتور سالم بن عمر با عبد الله، الجزء 14/ الدكتور رباح بن رضيمان العنزي، الجزء 15/ الدكتور هاني بن أحمد بن عمر فقيه، الجزء 16/ الدكتور عمر مصلح الحسيني، الجزء 17، 18/ الدكتور أحمد بن حسن الحارثي، الجزء 19، 20/ الدكتور عبد الله بن محمد بن سعود آل مساعد، تنسيق وإخراج: فريق من الباحثين

بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1435 هـ - 2014 م، 8/ 363.

[11]المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي (المتوفى: 764هـ): "الوافي بالوفيات"، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر:1420هـ- 2000م، 18/ 89.

المبحث الثالث

حب في الغار

لو تتبعنا حياة أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن أبرز شيء فيها حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد حب الله تبارك وتعالى، ومن صور الحب هذه تلك الأيام الثلاث التي عاشها أبو بكر الصديق رضي الله عنه برفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور أيام الهجرة.

أخرج ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار: إما بُكرة، وإما عشيَّة، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرَي قومِه، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لأمرٍ حدث. قالت: فلما دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخرجْ عني من عندك». قال: يا رسول الله، إنما هُما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟ قال: «إنَّ الله قد أذن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله قال: «الصحبة» فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذٍ يبكي.

قال أبو بكر: الصحابةَ قال: «الصحابةَ». قال أبو بكر: إن عندي راحلتين قد علفتهما من ستة أشهر لهذا، فخذ إِحداهما، فقال: بل أشتريها، فاشتراها منه فخرجا فكانا في الغار. فذكر الحديث كما في كنز العمال. [103]

عن عروة، قال: «لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه، وكان لأبي بكر منيحة من غنم تروح على أهله، فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة في الغنم إلى ثور، وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبي صلى الله عليه وسلم بالغار في ثور، وهو الغار الذي سماه الله في القرآن». [104]

وأخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين، فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة، فقالت: يا أبت، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي وأمي، ما جاء به هذه الساعة إلا أمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل شعرتَ أنَّ الله قد أذن لي في الخروج؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: فالصحابَة يا رسول الله. قال: «الصحابةَ». قال: إنَّ عندي راحلتين قد علفتهما منذ كذا وكذا انتظاراً لهذا اليوم، فخذ إحداهما،

---

[103] محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (المتوفى: 1384هـ): " حياة الصحابة"، حققه، وضبط نصه، وعلق عليه: الدكتور بشار عوّاد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، 2/ 409 – 410.

[104] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، 11/ 465.

فقال: «بثمنها يا أبا بكر»، فقال: بثمنها – بأبي وأمي – إن شئت. قالت: فهيّأنا لهم سُفْرة، ثم قطعت نِطاقها فربطتها ببعضه. فخرجا فمكثا في الغار في جبل ثور. فلما انتهيا إليه دخل أبو بكر الغار قبله، فلم يترك فيه جُحْراً إلا أدخل فيه أصبعه مخافة أن يكون فيه همَّة. وخرجت قريش حين فقدوهما في بُغائهما، وجعلوا في النبي صلى الله عليه وسلم مائة ناقة، وخرجوا يطوفون في جبال مكة حتى انتهَوا إلى الجبل الذي هما فيه. فقال أبو بكر – لرجل مواجه الغار –: يا رسول الله، إنَّه ليرانا، فقال: «كلا إنَّ ملائكة تسترنا بأجنحتها». فجلس ذلك الرجل فبال مواجه الغار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان يرانا ما فعل هذا». فمكثا ثلاث ليالٍ، يُرَوِّحُ عليهما عامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر غنماً لأبي بكر، ويُدلج من عندهما، فيصبح مع الرعاة في مراعيها، ويُرَوِّحُ معهم ويبطئ في المشي، حتى إذا أظلم لليل انصرف بغنمه إليهما؛ فتظن الرعاة أنه معهم. وعبد الله بن أبي بكر يظلّ بمكة يتطلَّب الأخبار، ثم يأتيهما إذا أظلم الليل فيخبرهما، ثم يُدلج من عندهما فيصبح بمكة. [105]

عن جندب بن سفيان، قال: لما انطلق أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار وقال له أبو بكر: «لا تدخل الغار يا رسول الله حتى أستبرئه». قال: فدخل أبو بكر الغار فأصاب يديه شيء فجعل يمسح الدم عن أصبعه وهو يقول: «هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت". [106]

---

[105] حياة الصحابة للكاندهلوي، 2/ 410– 411.

[106] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م، 31 / 106.

وحيث صحب أبو بكر الصديق رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بالغار لم يكن معهما من البشر ثالث.

ذكر البيان بأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حيث صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار لم يكن معهما من البشر ثالث، عن أنس بن مالك، أن أبا بكر رضي الله عنه حدثه قال: قلت يا رسول الله ونحن في الغار لو أن رجلا اطلع لرآنا، فقال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وقال أحدهما في حديثه: لو أن أحدهم نظر موضع قدمه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي بكر، إلا من هذا الوجه، وهمام ثقة، والإسناد فإسناد صحيح. [107]

قال أبو حاتم: لما أمر الله جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة استأجر «2» رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني الديل وهو من بني عدي هاديا خريتا- والخريت: الماهر بالهداية- قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه ودفعا إليه راحلتيهما وأوعداه بغار ثور بعد ثلاث، وخرج صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حتى أتيا الغار في جبل ثور كمنا فيه، وخرج المشركون يطلبونهما حتى جاءوا إلى الجبل وأشرفوا على الغار، فقال أبو بكر: يا رسول الله! لو أبصر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، فأعمى الله أعينهم عن رسول الله

[107] أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ): "مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار"، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م) عدد الأجزاء: 18، 1/ 96.

صلى الله عليه وسلم، فلما أيسوا رجعوا، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار ثلاث ليال؛ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر الصديق وهو غلام شاب. [108]

روى البيهقي أن أبا بكر لما خرج هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار جعل يمشي مرة أمام النبي صلى الله عليه وسلم ومرة خلقه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: يا رسول الله اذكر الرصد فأكون أمامك، واذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا أمن عليك. فلما انتهيا إلى فم الغار، قال ابو بكر: والذي بعثك بالحق نبياً لا تدخله حتى ادخله قبلك ما كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخله فجعل يلتمس بيده، فكلما رأى حجرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الحجر حتى فعل ذلك بثوبه اجمع، فبقي حجر فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت الحيات يلسعن أبا بكر وجعلت دموعه يتحدر. وروى ابن ابى شيبة وابن المنذر عن أبى بكر رضى الله عنه انهما لما انتهيا الى الغار إذا جحر فألقمه أبو بكر رجليه، فقال يا رسول الله: إن كان لدغة أو لسعة كان بي، وروى ابن مردويه عن جندب بن سفيان، قال: لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار، قال أبو بكر: يا رسول الله لا تدخل الغار حتى استبرئه، فدخل أبو بكر الغار فأصاب يده شيء فجعل يمسح الدم عن يده، ويقول: هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت. [109]

---

[108] محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)": " السيرة النبوية وأخبار الخلفاء"، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء الناشر: الكتب الثقافية – بيروت الطبعة: الثالثة – 1417 هـ، 1/ 129.

[109] التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله المحقق: "التفسير المظهري"، غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان الطبعة: 1412 هـ، 4 / 210.

تلك أيام ثلاثة قضاها أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكشف كثيراً من حبه للنبي صلى الله عليه وسلم واستعداده لفدائه عليه الصلاة والسلام حتى بروحه...

المصادر:

1-البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف (المتوفى: 292هـ): "مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار"، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

2-الدارمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، البُستي (المتوفى: 354هـ)": " السيرة النبوية وأخبار الخلفاء"، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء الناشر: الكتب الثقافية – بيروت الطبعة: الثالثة – 1417 هـ.

3-الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ): "تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار

هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

4-الكاندهلوي، محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل (المتوفى: 1384هـ): " حياة الصحابة"، حققه، وضبط نصه، وعلق عليه: الدكتور بشار عوّاد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

5-المظهري، التفسير المظهري، محمد ثناء الله المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان الطبعة: 1412 هـ.

6-حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

المبحث الرابع

نصيحة علي بن أبي طالب [110]

صاحب البلاغة والبيان والفصاحة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتحدث عن القلوب موصياً كميل بن زياد النخعي، فإلى ذلك، إن شاء الله:

قال الذهبي:

قرأت على أبي الفضل بن عساكر، عن عبد المعز بن محمد، أنا تميم بن أبي سعيد المقرئ، أنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن سنة تسع وأربعين وأربع مائة، أنا محمد بن محمد الحافظ، أنا أبو جعفر محمد بن الحسين الخثعمي بالكوفة، أنا إسماعيل بن موسى الفزاري، أنا عاصم بن حميد الحناط أو رجل عنه قال: ثنا ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد النخعي قال: أخذ علي رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس فقال: "يا كميل القلوب أوعية فخيرها أوعاها. احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة فعالم رباني، وعالم متعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق

[110] عنوان أصل هذا المقال (وصية علوية) نشر في مدونة Islamic Wisdom بتاريخ 14/ 5 / 2016، على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2016/05/14/%d9%88%d8%b5%d9%8a%d8%a/9-%d8%b9%d9%84%d9%88%d9%8a%d8%a9/

يميلون مع كل ريح لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال ينقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها باكتساب اطاعة في حياته وجميل إلا حدوثه بعد موته وصنيعه، وصنيعة المال تزول بزوال صاحبه مات، خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، ها إن هاهنا- وأشار بيده رضي الله عنه إلى صدره- علما لو أصبت له حملة، بلى أصبته لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة اللهم لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذة سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والإدخار ليسا من دعاة الدين، أقرب شبها بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلي لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر تلك أبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى. أولئك خلفاء الله في بلاده والدعاة إلى دينه هاه هاه شوقا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك، إذا شئت فقم". رواه ضرار بن صرد عن عاصم بن حميد. ويروى من وجه آخر عن كميل وإسناده لين؛ ففيه تنبيهات على صفات العالم المتقن والعالم الذي دونه والهمج المخلط في دينه أو علمه، وزاد فيه ضرار وليس بمعتمد عليه بعد قوله هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا منه ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في بلاده والدعاة إلى دينه[1].

الهوامش:

_____

[1] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ):" تذكرة الحفاظ"، ط1، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، 1419هـ- 1998م، 1/ 14 – 15.

المبحث الخامس

شاهد عيان على الهجرة النبوية [111]

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة هذه الرحلة المباركة التي غيرت التاريخ إلى الأبد. وقد تمت هذه الهجرة بصحبة صاحب صادق أمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه. يروي أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الرواية الآتية التي يرويها الإمام أحمد بن حنبل في مسنده شهادته على ما حدث يوم الهجرة النبوية:

قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد – يعني العنقزي – قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب، قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما. قال: فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى منزلي، فقال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت معه؟

---

[111] نشرت في مدونة Islamic Wisdom على بتاريخ 13/ 2015/12 م، على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2015/12/13/%d8%b4%d8%a7%d9%87%d8%af-%d8%b9%d9%8a%d8%a7%d9%86-%d8%b9%d9%84%d9%89-%d8%a7%d9%84%d9%87%d8%ac%d8%b1%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d9%86%d8%a8%d9%88%d9%8a%d8%a9/

قال: فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا، فأحثثنا يومنا وليلتنا، حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فضربت ببصري: هل أرى ظلا نأوي إليه؟ فإذا أنا بصخرة، فأهويت إليها فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرشت له فروة، وقلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع، ثم خرجت أنظر: هل أرى أحدا من الطلب؟ فإذا أنا براعي غنم، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش. فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قال: قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم. قال: فأمرته فاعتقل شاة منها، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعي إداوة على فمها خرقة، فحلب لي كثبة من اللبن، فصببت على القدح حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل أنى الرحيل.

قال: فارتحلنا، والقوم يطلبونا، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. فقال:" لا تحزن إن الله معنا" حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قال: قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. وبكيت، قال:" لم تبكي؟" قال: قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. قال: فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" اللهم اكفناه بما شئت ". فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد، ووثب عنها، وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهما، فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا حاجة لي فيها ". قال: ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطلق، فرجع إلى أصحابه.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا معه حتى قدمنا المدينة، فتلقاه الناس، فخرجوا في الطريق، وعلى الأجاجير، فاشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء محمد. قال: وتنازع لقوم أيهم ينزل عليه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنزل الليلة على بني النجار، أخوال عبد المطلب، لأكرمهم بذلك" فلما أصبح غدا حيث أمر.

قال البراء بن عازب: أول من كان قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكبا، فقلنا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: هو على أثري، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه.

قال البراء: ولم يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأت سورا من المفصل، قال إسرائيل: وكان البراء من الأنصار من بني حارثة[1] .

الهوامش:

_____

[1]ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ):" مسند الإمام أحمد بن حنبل" ، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ – 2001 م، 1/ 180 – 183، حديث رقم (3). قال محققو مسند الإمام أحمد:" إسناده صحيح على شرط مسلم،

رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمرو بن محمد العنقزي، فمن رجال مسلم." وينظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ، 4/ 201، حديث (3615)، (3652)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 4 / 2309، حديث (2009)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ): "سند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، 1/ 18، حديث (50).

المبحث السادس

تاريخ سراقة بن مالك بن جعشم

الكناني المدلجي [112]

نسبه:

سراقة بْن مالك بْن جعشم ابن مالك بْن عمرو بْن تيم بْن مدلج بْن مرة بْن عبد مناة بْن كنانة الكناني المدلجي يكنى أبا سفيان كان ينزل قديدًا، يعد في أهل المدينة، ويقال: سكن مكة.

ممن روى عنه:

روى عنه الصحابة: ابن عباس، وجابر، ومن التابعين: سَعِيد بْن المسيب، وابنه مُحَمَّد بْن سراقة.

قصته يوم الهجرة النبوية:

عن البراء، قال: اشترى أبو بكر، هو الصديق رضي الله عنه، من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما، فقال له أبو بكر: مر البراء فليحمله إلى منزلي، فقال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت

---

[112] نشر أصل هذا البحث في مدونة Islamic Wisdom بتاريخ 27/ 12/ 2015 م على الرابط الاتي: https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2015/12/27/69/

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فأحيينا ليلتنا ويومنا ...

وذكر الحديث إلى أن قال: فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا إلا سراقة بن مالك بن جعشم، على فرس له، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، قال: " لا تحزن، إن الله معنا "، حتى إذا دنا منا قدر رمح أو رمحين، أو قال: رمحين أو ثلاثة، قال: قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، وبكيت، قال: " لم تبكي؟ " قال: قلت: والله ما أبكي على نفسي، ولكن أبكي عليك، قال: فدعا عليه، فقال: " اللهم، اكفناه بما شئت "، فساخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد، ووثب عنها، وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق.

ورجع إلى أصحابه[1] .

الحديث

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لسراقة:

وعن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم، عن عمه سراقة بن جعشم، قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة مهاجرا، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم، وذكر حديث طلبه، وما أصاب فرسه، وأنه سقط عنه ثلاث مرات، قال: فلما رأيت ذلك علمت أنه ظاهر، فناديت: أنا سراقة بن مالك بن جعشم، انظروني أكلمكم، فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه، فقال رسول الله لأبي بكر: " قل له: ما تبتغي منا؟ " فقال لي أبو بكر، فقلت: تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك، فكتب له كتابا في عظم، أو في رقعة أو خزفة، ثم ألقاه،

فأخذته، فجعلته في كنانتي، ثم رجعت فلم أذكر شيئا مما كان، حتى إذا فتح الله على رسول مكة، وفرغ من حنين والطائف، خرجت ومعي الكتاب لألقاه، فلقيته بالجعرانة، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟ حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته، والله لكأني أنظر إلى ساقه، في غرزة كأنه جمارة، فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كتابك لي، وأنا سراقة بن مالك بن جعشم، فقال رسول الله:" هذا يوم وفاء وبر، ادنه "، فدنوت منه، فأسلمت وذكر حديث سؤاله عن ضالة الإبل.

روى ابن عيينة، عن أبي موسى، عن الحسن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك:" كيف بك إذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه؟" قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك وألبسه إياهما[2] .

من صفات سراقة بن مالك رضي الله عنه:

وكان سراقة رجلًا أزب كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك، وقل: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بْن هرمز، الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة رجلًا أعرابيًا، من بني مدلج، ورفع عمر صوته[3].

من شعر سراقة بن مالك رضي الله عنه:

وكان سراقة شاعرًا، وهو القائل لأبي جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهدًا لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدًا رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

عليك بكف القوم عنه فإنني أرى أمره يومًا ستبدو معالمه

بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طرًا يسالمه

مات سراقة بْن مالك سنة أربع وعشرين، أول خلافة عثمان، رضي الله عنه، وقيل: إنه مات بعد عثمان، والله أعلم.

أخرجه الثلاثة[4] .

سراقة يوم هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا أتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلي المسلمون ، خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة قال : أين تريد يا أبا بكر ؟ قال أبو بكر : أخرجني قومي ، فأريد أن أسيح في الأرض ، وأعبد ربي ، قال ابن الدغنة: فإن مثلك – يا أبا بكر – لا يخرج ، ولا يخرج ، أنت تكسب المعدم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار . ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر، فليعبد ربه في داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر،

فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره، وكان يصلي فيه ، ويقرأ القرآن، فيتقذف عليه نساء المشركين و وأبناؤهم يعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم ، فقالوا : إنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره ، فأعلن الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فانهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره ، فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك ، فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر ، فقال : قد علمت الذي عاقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترجع إلي ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له ، فقال أبو بكر : فإني أرد إليك جوارك ، وأرضى بجوار الله ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهي الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن لي . فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال : نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلق راحلتين كانتا عند ورق السمر – وهو الخبط – أربعة أشهر . قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فدى له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر ، قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

لأبي بكر : أخرج من عندك . فقال أبوبكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فإني قد أذن لي في الخروج . قال أبو بكر : الصحابة بأبي أنت يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن . قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها ، فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاقين ، قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب ثقف لقن ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم ، فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل ، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاثة ، واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا – والخريت : الماهر بالهداية – قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، فانطلق معهما عامربن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم طريق الساحل . قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخيسراقة بن مالك بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ، ونحن جلوس فقال : يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا

انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمت ، فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة ، فتحبسها علي ، وأخذت رمحي ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها ، فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي ، فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا ، فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي ، وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني ، ولم يسألاني إلا أن قال : أخف عنا . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض ، ويسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانطلقوا أيضا بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم ، أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين ، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي ، أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون . فثار المسلمون

إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركب راحلته ، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : هذا – إن شاء الله – المنزل . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين، فساومهما بالمربد، ليتخذه مسجدا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجدا، وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن: هذا الحمال لا حمال خيبر *هذا أبر ربنا وأطهر. ويقول: اللهم إن الأجر أجر الآخرة*فارحم الأنصار والمهاجرة. فتمثل ببيت رجل من المسلمين لم يسم لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات. [5]

موقف آخر لسراقة بن مالك:

عن جعفر بن محمد، عن أبيه: دخلنا على جابر بن عبد الله. فسأل عن القوم حتى انتهى إلي. فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين. فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زري الأعلى. ثم نزع زري

الأسفل. ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب. فقال: مرحبا بك. يا ابن أخي! سل عما شئت. فسألته. وهو أعمى. وحضر وقت الصلاة. فقام في نساجة ملتحفا بها. كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها. ورداؤه إلى جنبه، على المشجب. فصلى بنا. فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال بيده. فعقد تسعا. فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج. ثم أذن في الناس في العاشرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج. فقدم المدينة بشر كثير. كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم. ويعمل مثل عمله. فخرجنا معه. حتى أتينا ذا الحليفة. فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر. فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أصنع؟ قال:" اغتسلي. واستثفري بثوب وأحرمي" فصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد. ثم ركب القصواء. حتى إذا استوت به ناقته على البيداء. نظرت إلى مد بصري بين يديه. من راكب وماش. وعن يمينه مثل ذلك. وعن يساره مثل ذلك. ومن خلفه مثل ذلك. ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا. وعليه ينزل القرآن. وهو يعرف تأويله. وما عمل به من شيء عملنا به. فأهل بالتوحيد" لبيك اللهم! لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك. والملك لا شريك لك". وأهل الناس بهذا الذي يهلون به. فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئا منه. ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته. قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج. لسنا نعرف العمرة. حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا. ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام. فقرأ: {وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ} [البقرة: الآية 125] فجعل المقام بينه وبين البيت . فكان أبي يقول (ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم): كان يقرأ في الركعتين {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} ثم رجع إلى الركن فاستلمه. ثم خرج من الباب إلى الصفا. فلما دنا من الصفا قرأ: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ} [البقرة / الآية 158] " أبدأ بما بدأ الله به "

فبدأ بالصفا . فرقي عليه. حتى رأى البيت فاستقبل القبلة. فوحد الله، وكبره. وقال:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده. أنجز وعده. ونصر عبده. وهزم الأحزاب وحده" ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات. ثم نزل إلى المروة. حتى إذا أنصبت قدماه في بطن الوادي سعى. حتى إذا صعدتا مشى. حتى إذا أتى المروة. ففعل على المروة كما فعل على الصفا. حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي. وجعلتها عمرة. فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل. وليجعلها عمرة. فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله! ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى. وقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد أبد وقدم علي من اليمن ببدن النبي صلى الله عليه وسلم. فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل. ولبست ثيابا صبيغا. واكتحلت. فأنكر ذلك عليها. فقالت: إن أبي أمرني بهذا. قال: فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة. للذي صنعت. مستفتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه. فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها. فقال: صدقت، صدقت. ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال قلت: اللهم! إني أهل بما أهل به رسولك. قال: فإن معي الهدي فلا تحل قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتي به النبي صلى الله عليه وسلم مائة. قال: فحل الناس كلهم وقصروا. إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي. فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى. فأهلوا بالحج. وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس. وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة. فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام. كما كانت قريش تصنع في الجاهلية. فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة. فوجد القبة قد ضربت له بنمرة. فنزل بها. حتى

إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء. فرحلت له. فأتي بطن الوادي. فخطب الناس وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم. كحرمة يومكم هذا. في شهركم هذا. في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع. ودماء الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث. كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع. وأول ربا أضع ربانا. ربا عباس بن عبد المطلب. فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء. فإنكم أخذتموهن بأمان الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله. ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به. كتاب الله. وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم! اشهد اللهم! اشهد ثلاث مرات. ثم أذن. ثم أقام فصلى الظهر. ثم أقام فصلى العصر. ولم يصل بينهما شيئا. ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى أتى الموقف. فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصواء الزمام إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمني أيها الناس السكينة، السكينة كلما أتى حبلا من الحبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول

الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن محسر فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي ثم الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها حصى الحذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده ثم أعطى عليا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه.[6]

سراقة يسأل عن العمرة:

عن جابر قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج، ومعنا النساء والذراري، فلما قدمنا مكة طفنا بالبيت، وبين الصفا والمروة، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يكن معه هدي فليحل»، فقلنا: أي الحل؟ فقال: «الحل كله»، فلما كان يوم التروية أهللنا بالحج، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشتركوا في الإبل والبقر، كل سبعة في بدنة»، قال: فجاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، أرأيت عمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا بل للأبد»، فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا، كأنما خلقنا الآن، أرأيت العمل الذي نعمل به، أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم مما نستقبل؟، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير»، قلت: ففيم العمل؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعملوا، فكل ميسر». [7]

الهوامش:

_____

[1]ينظر: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ):" أسد الغابة في معرفة الصحابة" ، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ – 1994 م، 2/ 214.

[2]ابن الأثير (المتوفى: 630هـ):" أسد الغابة في معرفة الصحابة" ، 2 / 412.

[3]ابن الأثير (المتوفى: 630هـ):" أسد الغابة في معرفة الصحابة" ، 2 / 412.

[4]ابن الأثير:" أسد الغابة في معرفة الصحابة" ، 2 / 412. وانظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ):" الإصابة في تمييز الصحابة"، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت– 1415 هـ، 3 / 35. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ): "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ – 1992 م، 2 / 581 – 582.

[5]محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ):" شرح السنة "، تحقيق: علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، 1، دار الكتب العلمية، 1412 هـ، 7 / 106.

[6]مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2 / 886، حديث.(1218)

[7]محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): "صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان" ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1414 – 1993م، 227/9، حديث(3919) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث السابع

كعب بن مالك

الصحابي التائب [113]

كعب بن مالك رضي الله عنه، أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أورد الإمام البخاري القصة الآتية في توبته، نذكرها أدناه بتمامها، إن شاء الله:

قال الإمام البخاري:

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب من بنيه حين عمي، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الإ في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع

---

[113] نشر في مدونة Islamic Wisdom بتاريخ 20 / 11 / 2015 م، على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2015/11/20/%d9%83%d8%b9%d8%a8-%d8%a8%d9%86-%d9%85%d8%a7%d9%84%d9%83-%d8%a7%d9%84%d8%b5%d8%ad%d8%a7%d8%a8%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d8%a7%d8%a6%d8%a8/

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، ومفازا وعدوا كثيرا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد الديوان .

قال كعب: فما رجلٌ يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ?لك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقضى شيئا، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، فقُلْت أتجهز بعده بيومَ أو يومَين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنتُ إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلًا مغموصا عليه النفاق، أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حتى بلغ تبوك، فقال، وهو جالس في القوم بتبوك : (ما فعل كعب) . فقال رجلٌ من بني سلمة: يا رسولَ اللهِ، حبسه برداه، ونظره في عطفيه. فقال مُعاذِ بن جبل: بئس ما قُلْت، والله يا رسولَ اللهِ ما علمنا عليه الإ خيراً. فسكت رسول الله صلَّى اللهُ

عليه وسلَّم. قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل : إن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قادما، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فُلْما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، فقبل منهم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال : (تعال) . فجئت أمشي حتى جلست يديه، فقال لي: (ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك). فقُلْت: بلى، إني والله – يا رسولَ اللهِ – لو جلست عِندَ غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليومَ حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنتُ قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك). فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنتُ أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قُلْت لهم : هل لقي هذا معي أُحُدٍ ؟ قالوا : نعم، رجلان قالا مثل ما قُلْت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقُلْت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلَّين صالحين، قد شهدا بدرا، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من

تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشب القوم وأجلدهم، فكنتُ أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أُحُدٍ، وآتي رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقُلْت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار. قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط أهل الشأم، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقُلْت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول، رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يأتيني فقال: إن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقُلْت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها. وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقُلْت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عِندَهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقالتْ: يا رسولَ اللهِ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: (لا، ولكن لا يقربك). قالتْ: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومَه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله

صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في امرأتك، كما أذن لامرأة هلال بن أميه أن تخدمه؟ فقُلْت: والله لا أستأذن فيها رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وما يدريني ما يقول رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا استأذنته فيها، وأنا رجلٌ شاب؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ، أوفى على جبل سلع، بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر، قال : فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بتوبة الله علينا حين صلَّى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجلٌ فرسا، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي، فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومَئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهونني بالتوبة يقولون : لتهنك توبة الله عليك، قال كعب : حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحةَ بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحةَ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهو يبرق وجهه من السرور : (أبشر بخير يومَ مر عليك منذ ولدتك أمك) . قال : قُلْت : أمن عِندَك يا رسولَ اللهِ، أم من عِندَ الله ؟ قال : (لا، بل من عِندَ الله) . وكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قُلْت: يا رسولَ اللهِ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك). قُلْت: فإني

أمسك سهمي الذي بخيبر، فقُلْت: يا رسولَ اللهِ، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أُحَدِّث إلا صدقاً مالقيت. فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى يومَي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار – إلى قوله – وكونوا مع الصادقين. فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط، بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا – حين أنزل الوحي – شر ما قال لأُحَدٍ، فقال تبارك وتعالى : سيحلفون بالله لكم إذا انقُلْبتم – إلى قوله – فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين . قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله : وعلى الثلاثة الذين خلفوا . وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

الهوامش:

_____

ينظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي:" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تحقيق محمد زهير بن ناصر،

دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) 1422هـ، 6 / 3، حديث رقم(4418)

المبحث الثامن

قصة الجارود بن عبد الله [114]

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق القصة الآتية عن الجارود بن عبد الله، قائلاً :

[1]

قدم الجارود بن عبد الله، وكان سيدا في قومه، مطاعا عظيما في عشيرته، مطاع الأمر، رفيع القدر، عظيم الخطر، ظاهر الأدب، شامخ الحسب، بديع الجمال، حسن الفعال، ذا منعة ومال في وفد عبد القيس من ذوي الأخطار والأقدار، والفضل والإحسان، والفصاحة والرهبان، كان رجل منهم كالنخلة السحوق على ناقة كالفحل العتيق، قد جنبوا الجياد وأعدوا للجلاد مجدين في مسيرهم حازمين في أمرهم يسيرون ذميلا يقطعون ميلا فميلا، حتى أناخوا عند مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

[114] نشر في مدونة Islamic Wisdom بتاريخ 7/ 8 / 2015 م، على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2015/08/07/%d9%82%d8%b5%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%ac%d8%a7%d8%b1%d9%88%d8%af-%d8%a8%d9%86-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84%d9%84%d9%87/

فأقبل الجارود على قومه، والمشايخ من بني عمه، فقال: يا قوم! هذا محمد الأغر، سيد العرب، وخير ولد عبد المطلب، فإذا دخلتم عليه، ووقفتم بين يديه، فأحسنوا عنده السلام، وأقلوا عنده الكلام.

فقالوا بأجمعهم: أيها الملك الهمام، والأسد الضرغام: لن نتكلم إذا حضرت، ولن نجاوز ما أمرت، فقل ما شئت فإنا سامعون، اعمل ما شئت فإنا تابعون.

فنظر الجارود في كل كمي صنديد قد دوموا العمائم، وتزيوا بالصوارم، يجرون أسيافهم، ويستحبون أذيالهم، يتناشدون الأشعار، ويتذاكرون مناقب الأخيار، لا يتكلمون طويلا ولا يسكتون عيا، إن أمرهم ائتمروا، وإن زجرهم ازدجروا، حتى مثلوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما دخل القوم المسجد، وأبصرهم أهل المشهد، دلف الجارود أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وحسر لثامه، وأحسن سلامه، ثم أنشأ يقول:

يا نبيَّ الهدَى أتتك رجالٌ قطعت فدْفدًا وآلًا فآلًا

وطوت نحوَك الصَّحاصِحَ طُرًّا لا تخالُ الكِلالَ قبلُ كِلالًا

كلُّ دهماءَ يقصُرُ الطَّرفُ عنها أرقَلتها قِلاصُنا إرقالًا

وطوتها الجيادُ تُحمْحِمُ فيها بكُماةٍ كأنجُمٍ تتلالا

تبتغي دفعَ بأسِ يومٍ عبوسٍ أوجَلِ القلبِ ذِكرُه ثمَّ هالا

فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام فرح فرحا شديدا، وقربه وأدناه، ورفع مجلسه وحياه وأكرمه، وقال:" يا جارود لقد تأخر بك وبقومك الموعد، وطال بكم الأمد."

قال: والله يا رسول الله لقد أخطأ من أخطأك قصده، وعدم رشده، وتلك أيم الله أكبر خيبة وأعظم حوية، والرائد لا يكذب أهله، ولا يغش نفسه. لقد جئت بالحق، ونطقت بالصدق، والذي بعثك بالحق نبيا، واختارك للمؤمنين وليا، لقد وجدت وصفك في الإنجيل، ولقد بشر بك ابن البتول، فطول التحية لك، والشكر لمن أكرمك وأرسلك، لا أثر بعد عين، ولا شك بعد يقين مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله.

قال فآمن الجارود وآمن من قومه، كل سيد فسر النبي صلى الله عليه وسلم سرورا وابتهج حبورا، وقال:" يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا؟"

قال: كلنا نعرفه يا رسول الله، وأنا من بين قومي كنت أقفو أثره، وأطلب خبره، كان قس سبطا من أسباط العرب، صحيح النسب فصيحا، إذا خطب ذا شيبة حسنة عمر سبعمائة سنة، يتقفر القفار، لا تكنه دار، ولا يقره قرار، يتحسى في تقفره بيض النعام، ويأنس بالوحش والهوام، يلبس المسوح، ويتبع السياح على منهاج المسيح، لا يفتر من الرهبانية، يقر لله تعالى بالوحدانية، يضرب بحكمته الأمثال، ويكشف به الأهوال، وتتبعه الأبدال، أدرك رأس الحواريين سمعان، فهو أول من تأله من العرب، وأعبد من تعبد في الحقب، وأيقن بالبعث والحساب، وحذر سوء المنقلب والمآب، ووعظ بذكر الموت، وأمر بالعمل، قبل الفوت، الحسن الألفاظ، الخاطب بسوق عكاظ، العالم بشرق وغرب ويابس ورطب أجاج وعذب، كأني أنظر إليه والعرب بين يديه، يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله، وليوفين كل عامل عمله. وأنشأ يقول:

هاج للقلبِ من جَواه ادِّكار، ولياليٍ خلالهن نهار ونجوم يحثها قمر الليل، وشمس في كل يوم تدار ضوؤها، يطمس العيون، وإرعاد شديد في الخافقين، مطار وغلام وأشمط ورضيع كلهم

في التراب، يوما يزار، وقصور مشيدة حوت الخير، وأخرى خلت لهن قفار، وكثير مما يقصر عنه جوسة الناظر الذي لا يحار، والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام:" على رسلك يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلم بكلام موثق، ما أظن أني أحفظه، فهل فيكم يا معشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيئا؟"

فوثب أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قائما: فقال يا رسول الله: إني أحفظه، وكنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ، حين خطب فأطنب ورغب، ورهب وحذر وأنذر، وقال في خطبته:

أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، نبات ومطر وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جميع وأشتات وآيات بعد آيات، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات ارتياج، وبحار ذات أمواج، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا هناك فناموا. أقسم قسما حقا، لا حانثا فيه ولا آثما، إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ونبيا قد حان حينه، وأظلكم زمانه، وأدرككم إبانه، فطوبى لمن آمن به فهداه، فويل لمن خالفه وعصاه.

ثم قال: تبا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية، يا معشر إياد من الأب والأجداد، من المريض والعواد، وأين الفراعنة الشداد، أين من بنا وشيد، وزخرف وجدد، وغره المال والولد، أين من طغى وبغى وجمع فأوعى، وقال أنا ربكم الأعلى، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا، وأبعد منكم آمالا، وأطول منكم آجالا، طحنهم الثرى بكلكله، ومزقهم بتطاوله، فبلت عظامهم بالية، وبيوتهم خالية، وعمرتها الذياب العادية... كلا بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود.

ثم أنشأ يقول: في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر، لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر، ورأيت قومي نحوها تمضي الأصاغر الأكابر، لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر، أيقنت أني لا محالة حيث يصير القوم صائر.

قال فجلس ثم قام رجل زاد أبو عبد الله من الأنصار بعده كأنه قطعة جبل. ثم اتفقا فقالا: ذو هامة عظيمة، وقامة جسيمة، قد دوم عمامته، وأرخى ذؤابته، منيف أنوف، أشدق حسن الصوت، فقال: يا سيد المرسلين، وصفوة رب العالمين، لقد رأيت من قس عجبا، وشهدت منه مرغبا. فقال: " وما الذي رأيته منه، وحفظته عنه؟"

فقال: خرجت في الجاهلية أطلب بعيرا لي شرد مني، أقفو أثره وأطلب خبره، في تنائف ... ذات دعادع وزعازع، وليس بها الركب... مقيل ولا لغير الجن سبيل، وإذا بموئل مهول في طود عظيم، ليس به إلا البوم، وأدركني الليل فولجته مذعورا، لا آمن فيه حتفي ولا أركن إلى غير سيفي، فبت بليل طويل كأنه بليل موصول، أرقب الكوكب، وأرمق الغيهب، حتى إذا عسعس الليل وكان الصبح أن يتنفس، هتف بي هاتف يقول : يا أيها الراقد في الليل الأحم، قد بعث الله نبيا في الحرم، من هاشم أهل الوفاء والكرم، يجلو دجنات الدياجي والبهم. قال: فأدرت طرفي فما رأيت له شخصا، ولا سمعت له فحصا. فأنشأت أقول: يا أيها الهاتف في داجي الظلم أهلا وسهلا بك من طيف ألم، بين هداك الله في لحن الكلم، ماذا الذي تدعو إليه يغتنم؟ قال: فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول: ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالخير، صاحب النجيب الأحمر، والتاج والمغفر، والوجه الأزهر، والحاجب الأقمر، والطرف الأحور، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله، فذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض أهل المدر والوبر. ثم أنشأ يقول: الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث، لم يخلنا حينا سدى من بعد عيسى واكترث، أرسل فينا محمدا خير نبي قد بعث، صلى عليه الله ما حج له ركب وحث.

قال فذهلت عن البعير، وألبسني السرور، ولاح الصباح، واتسع الإيضاح، فتركت المور وأخذت الجبل، فإذا أنا بالعتيق يشقشق إلى النوق، فأخذت بخطامه، وعلوت سنامه، فمرح طاعة وهززته ساعة، حتى إذا لغب وذل منه ما صعب، وحميت الوسادة، وبردت المزادة، فإذا الزاد قد هش له الفؤاد، بركته فبرك، وأذنت له فترك، في روضة خضرة نضرة عطرة، ذات حوذان وقربان وعنقران وعبيثران، زاد إسماعيل نعنع وشيح، وقالا وحلي وأقاح وجثجاث وبرار وشقائق وبهار، كأنما قد مات الجو بها مطيرا، أو باكرها المزن بكورا، فخلا لها شجر، وقرارها نهر، فجعل يرتع أبا، وأصيد ضبا، حتى إذا أكل وأكلت، ونهلت ونهل، وعللت وعل، وحللت عقاله، وعلوت جلاله، وأوسعت مجاله، فاغتنم الحملة، ومر كالنبلة، يسبق الريح، ويقطع عرض الفسيح، حتى أشرف بي على واد وشجر، من شجر عاد مورقة مونقة، قد تهدل أغصانها، كأنها بريرها حب فلفل. فدنوت فإذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة بيده قضيب من أراك ينكت به الأرض وهو يترنم ويشعر، وهو يقول: يا ناعي الموت والملحود، في جدث علمهم من بقايا بزهم خرق، دعهم فإن لهم يوما يصاح لهم، فهم إذا انتبهوا من يومهم فرق، حتى يعودوا بحال غير حالهم خلقا جديدا كما من قبله خلقوا، منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الجديد، ومنها المنهج الخلق.

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام، وإذا أنا بعين خرارة في الأرض خوارة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمين يلوذان به، ويتمسحان بأبوابه وإذا أحدهما سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء، فضربه بالقضيب الذي في يده، وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذي ورد قبلك على الماء، قال فرجع، ثم ورد بعده، فقلت له: ما هذان القبران فقال هذان قبرا أخوين لي كانا يعبدان الله تبارك وتعالى في هذا المكان لا يشركان بالله تبارك وتعالى شيئا فأدركهما الموت فقبرتهما، وها أنا بين قبريهما حق ألحق بهما ثم نظر إليهما فتغرغرت عيناه بالدموع، وانكب عليهما وجعل يقول : ألم تريا أني بسمعان مفرد، وما لي فيها من خليل سواكما،

خليلي هبا طال ما قد رقدتما أجدكما لا تقضيان كراكما، ألم تريا أني بشمعان مفرد وما لي فيها من خليل سواكما، مقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالي أو يجيب صداكما، أبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي عولة إن بكاكما، كأنكما والموت أقرب غائب بروحي في قبريكما قد أتاكما، أمن طول نوم لا تجيبان داعيا كأن الذي يسقي العقار سقاكما، فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسي أن تكون فداكما.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" رحم الله قسا إني أرجو أن يبعثه الله عز وجل أمة وحده."

الهوامش:

_____

[1]أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ):" تاريخ دمشق" ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ – 1995، 3 / 428 وما بعدها.

الفصل الرابع

كيف نطبق الحكمة النبوية

المبحث الأول

المعونة في الصبر [115]

أمرٌ عظيم من الأحكام والمفاهيم التي جاء بها الشرع لتعين الإنسان في أمور دِينه ومِحن وشدائد دنياه؛ إنه الصبر، هذا الدواء المهمُّ الذي ذكره الله سبحانه مرارًا في كتابه، بقوله:

1 -﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].

2 -ويخاطِب المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

3 -ويخاطبهم أيضًا قائلًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

4 -﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126].

---

[115] نشرت في الألوكة، تاريخ الإضافة: 2016/10/4 ميلادي - 1438/1/2 هجري، على الرابط الاتي: https://www.alukah.net/sharia/0/108209/

5 –ويطلب مِن المؤمنين الالتزام بالأمر الآتي: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

6 –ويوجِّه الخطاب إلى نبيِّه الكريم صلى الله علي وسلم قائلًا: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109].

وفي الحديثِ عن ابن عباس: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له: ((يا غلام، أو يا بني، ألا أعلِّمك كلماتٍ ينفعك الله بهن؟))، فقلت: بلى، قال: ((احفَظِ الله يحفَظْك، احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إليه في الرخاء يعرِفْك في الشدة، وإذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، جفَّ القلم بما هو كائنٌ، فلو أن الخَلْق اجتمعوا على أن ينفعوك أو يضروك بشيءٍ لم يقضِه اللهُ لك لم يقدِروا عليه، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن النصرَ في الصبر، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرِفْك في الشدة، واعلَمْ أن في الصبر على ما تكرَه خيرًا كثيرًا، واعلم أن النصرَ مع الصبر، وأن الفرَج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا)).[1]

وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه: أن ناسًا مِن الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يسأله أحدٌ منهم إلا أعطاه حتى نفِد ما عنده، فقال لهم حين نفِد كلُّ شيءٍ أنفق بيديه: ((ما يكونُ عندي من خيرٍ لا أدَّخِره عنكم، وإنه مَن يستعفَّ يعفَّه الله، ومَن يتصبَّر يصبِّرْه الله، ومن يستغنِ يُغْنِه الله، ولن تُعطَوا عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر)).[2]

يبيِّن ابن تيمية أن الصبر ثلاثة أقسام:

الأول: صبرٌ على طاعة الله حتى يفعلها؛ فإن العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلا بعد صبرٍ ومصابرة ومكابدة لعدوِّه الباطن والظاهر، فبحسب هذا الصبر يكون فعلُه للمأمورات وللمستحبَّات.

الثاني: صبرٌ عن المعصية حتى لا يفعلها؛ فإن النفس ودواعيَها، وتزيينَ الشيطان، وقرناء السَّوء – تأمُرُه بالمعصية، وتجرِّئه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركُه لها، قال بعض السلف: أعمالُ البر يفعلُها البَرُّ والفاجر، ولا يقدِر على تركِ المعاصي إلا صِدِّيق.[3]

النوع الثالث: الصبرُ على ما يصيب الإنسانَ بغير اختياره مِن المصائب، وهذا النوع على قسمين:

القسم الأول مِن هذا النوع لا اختيارَ للخَلْق فيه؛ كالأمراض وغيرها مِن المصائب، فهذه يسهُلُ الصبر فيها؛ لأن العبدَ يشهَد فيها قضاء الله وقدره، وإنه لا مدخلَ للناس فيها، فيصبر إما اضطرارًا، وإما اختيارًا، فإنْ فتَح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها وما فيها من النِّعَم والألطاف، انتقل مِن الصبر عليها إلى الشكر لها، والرضا بها، فانقلبَتْ حينئذ في حقه نعمةً، فلا يزال قلبُه ولسانه يقول: "ربِّ، أعنِّي على ذِكرك، وشكرك، وحُسن عبادتك"، وهذا يقوَى ويضعُفُ بحسب قوةِ محبة العبد لله وضعفها.

أما القسم الثاني مِن النوع الثالث:

أن يحصُلَ له بفعل الناس في ماله أو عِرضه أو نفسه – فهذا النوع يصعُبُ الصبرُ عليه جدًّا؛ لأن النفس تستشعر المؤذيَ لها، وهي تكرَه الغلَبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوعِ إلا الأنبياءُ والصِّدِّيقون، وكان نبيُّنا صلى الله عليه وسلم إذا أُوذِيَ يقولُ: ((يرحَمُ اللهُ موسى؛ لقد أوذي بأكثرَ مِن هذا فصبر!))، وأخبَر عن نبيٍّ من الأنبياء أنه ضرَبه قومُه، فجعل يقول: ((اللهم اغفِرْ لقومي؛ فإنهم لا يعلمون))، وقد رُوي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه جرى له هذا مع قومه [فجعل يقول مثل ذلك]، فجمع في هذا ثلاثة أمور: العفو عنهم، والاستغفار لهم،

والاعتذارَ عنهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النوع مِن الصبر عاقبتُه النصرُ والعز، والسرور والأمن، والقوة في ذات الله، وزيادة محبة الله، ومحبة الناس له، وزيادة العلم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: 24]، فبالصبرِ واليقين تُنالُ الإمامةُ في الدين، فإذا انضاف إلى هذا الصبر قوةُ اليقين والإيمان، ترقَّى العبدُ في درجات السعادة بفضل الله، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.[4]

الصبرُ هو في أسماء الله تعالى: فالصبور – تعالى وتقدَّس – هو الذي لا يعاجِل العصاة بالانتقام، وهو مِن أبنيَة المبالغة، ومعناه قريب مِن معنى الحليم، والفرق بينهما أن المذنِبَ لا يأمَن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم، وصبر الرجل يصبره: لزمه، والصبر: نقيض الجزع، صبر يصبر صبرًا، فهو صابرٌ وصبَّار وصبيرٌ وصبور، والأنثى صبور أيضًا، بغير هاءٍ، وجمعه صبرٌ، الجوهري: الصبر حبسُ النفس عند الجزع، وقد صبَر فلانٌ عند المصيبة يصبر صبرًا.. وصبَّرْته أنا حبَسْتُه؛ قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: 28]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 3]، معناه: وتواصَوا بالصبر على طاعة الله، والصبرِ على الدخول في معاصيه.[5]

والصبر: الجراءة، ومنه قولُه عز وجل: ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [البقرة: 175]؛ أي: ما أجرَأَهم على أعمالِ أهل النار، قال أبو عمرٍو: سألت الحليحي عن الصبر فقال: ثلاثة أنواع: الصبر على طاعة الجبار، والصبر على معاصي الجبار، والصبر على الصبر على طاعتِه وترك معصيته، وقال ابن الأعرابي: قال عمرُ: أفضل الصبرِ التصبُّرُ، وقوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: 18، 83]؛ أي: صبري صبرٌ جميل، وقوله عز وجل: ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ [آل

عمران: 200] ؛ أي اصبِروا واثبُتوا على دِينكم...والتصبُّر: تكلُّف الصبر، وقوله أنشده ابن الأعرابي:

أرى أمَّ زيدٍ كلما جنَّ ليلُها *** تُبَكِّي على زيدٍ، وليسَتْ بأصبَرَا

أراد: وليست بأصبَرَ مِن ابنها، بل ابنها أصبرُ منها؛ لأنه عاقٌّ، والعاقُّ أصبرُ مِن أبويه.

وتصبَّر واصطبر: جعل له صبرًا، وتقول: اصطبَرْت، ولا تقول: اطَّبَرْت؛ لأن الصاد لا تدغم في الطاء، فإن أردت الإدغام قلبت الطاء صادًا، وقلت: اصَّبَرت، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أن اللهَ تعالى قال: إني أنا الصبورُ))، قال أبو إسحاق: الصَّبُور في صفة الله عز وجل الحليم، وفي الحديث: ((لا أحدَ أصبرُ على أذًى يسمعُه مِن الله عز وجل))؛ أي: أشد حِلمًا على فاعل ذلك، وترك المعاقبة عليه، وصَبَره: أوثقه.

فليصطبِرْ: معناه فليقتص؛ يقال: صبر فلانٌ فلانًا لوليِّ فلانٍ؛ أي: حبسه، وأصبره: أقصه منه، فاصطبر؛ أي: اقتص، يقال: صبَر فلانٌ مِن خَصمه واصطبر؛ أي: اقتصَّ منه، وأصبَره الحاكم؛ أي: أقصَّه مِن خصمه.[6]

والصَّبور، وهو اسمٌ مِن أسماء الله تعالى، "هو الذي لا تحمله العجلةُ على المسارعة إلى الفعلِ قبل أوانه، بل ينزلُ الأمور بقدر معلوم، ويُجْريها على سنن محدود، لا يؤخِّرها على آجالها المقدورة لها تأخيرَ متكاسلٍ، ولا يقدِّمها على أوقاتها تقديمَ مستعجل، بل يودِع كلَّ شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون، وكما ينبغي، وكل ذلك مِن غير مقاساة داعٍ على مضادة الإرادة، وأما صبرُ العبد فلا يخلو عن مقاساة؛ لأن معنى صبره هو ثباتُ داعي الدِّين أو العقل في مقابلة

داعي الشهوة أو الغضب، فإذا تجاذَبه داعيانِ متضادَّان، فدفع الداعيَ إلى الإقدام والمبادرة، ومال إلى باعثِ التأخير – سُمِّيَ صبورًا؛ إذ جعَل باعث العجلة مقهورًا، وباعث العجَلة في حق الله سبحانه معدومٌ؛ فهو أبعدُ عن العجلة ممَّن باعثُه موجود ولكنه مقهور؛ فهو أحقُّ بهذا الاسم بعد أن أخرجت عن الاعتبار تناقض البواعث ومصابرتها.[7]" ...

ويقول ابن القيم في المعنى اللغوي للصبر: أصلُ هذه الكلمة هو المنعُ والحبس؛ فالصبر حبسُ النفس عن الجزعِ، واللسان عن التشكِّي، والجوارح عن لطمِ الخدود، وشَقِّ الثياب ونحوهما، ويقال: صبَر يصبر صبرًا، وصبَر نفسه؛ قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ [الكهف: 28]، ويقال: صبَرت فلانًا إذا حبَسْته، وصبَّرته بالتشديد إذا حملته على الصبر، والصُّبر – بضم الصاد – للأرضِ ذات الحصب؛ لشِدَّتها وصلابتها، ومنه سُمِّيت الحرة: أم صبَّار، ومنه قولهم: وقَع القومُ في أمر صبُّور – بتشديد الباء – أي: أمرٍ شديد، ومنه صبَارَّة الشتاء – بتخفيف الباء وتشديد الراء – لشدة بردِه، وقيل: مأخوذٌ مِن الجمع والضم؛ فالصابر يجمَع نفسَه ويضمها عن الهلع والجزع، ومنه صُبْرة الطعام، وصبارة الحجارة.

وأما صبَرت أصبُرُ – بالضم في المستقبل – فهو بمعنى الكفالة، والصبير الكفيل، كأنه حبَس نفسه للغرم، ومنه قولهم: أصبَرني؛ أي: جعلني كفيلًا، وقيل: أصلُ الكلمة مِن الشدة والقوة، ومنه: الصبر للدواء المعروف؛ لشدة مرارتِه وكراهته.

والتحقيقُ أن في الصبر المعانيَ الثلاثة؛ المنعَ، والشدة، والضم، ويقال: صبر إذا أتى بالصبر، وتصبَّر إذا تكلَّفه واستدعاه، واصطبر إذا اكتسبه وتعمَّله، وصابَر إذا وقف خَصمه في مقام الصبر، وصبَّر نفسَه وغيره بالتشديد إذا حملها على الصبر، واسم الفاعل صابر، وصبار،

وصبور، ومصابر، ومصطبر؛ فمصابر من صابر، ومصطبر من اصطبر، وصابر من صبر، وأما صبَّار وصَبُور فمن أوزان المبالغة مِن الثلاثي؛ كضرَّاب وضَرُوب، والله أعلم.[8]

قال الله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: 45]، قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "الصبرُ مِن الإيمان بمنزلة الرأسِ مِن الجسد...ألا لا إيمانَ لمن لا صبرَ له"؛ فالصبر على أداء الواجبات واجبٌ؛ ولهذا قرَنه بالصلاة في أكثرَ مِن خمسين موضعًا، ومِلاكُ ذلك حُسن النية للرعيَّة، وإخلاص الدِّين كلِّه لله عز وجل، والتوكل عليه؛ فإن الإخلاصَ والتوكل جماعُ صلاح الخاصة والعامة، كما أمرنا أن نقول في صلاتنا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]، فهاتانِ الكلمتان قد قيل: إنهما تجمعانِ معانيَ الكتب المنزلة مِن السماء.

ورُوي أنه صلى الله عليه وسلم قال ذات مرة: ((يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين))، فجعلت الرؤوس تنذُرُ عن كواهلها.

وأصلُ ذلك المحافظةُ على الصلوات بالقلب والبدن، والإحسان إلى الناس بالنفع والمال الذي هو الزكاةُ، والصبر على أذى الخَلْق وغيره من النوائب، فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلُحُ حالُ الراعي والرعية، وإذا عرَف الإنسانُ ما يدخُلُ في هذه الأسماءِ الجامعة عرَف ما يدخُلُ في الصلاة مِن ذِكر الله تعالى ودعائِه، وتلاوةِ كتابه، وإخلاص الدِّين له، والتوكل عليه، وفي الزكاة مِن الإحسان إلى الخَلْق بالمال والنفع مِن نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج، وفي الصحيحِ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كل معروفٍ صدقة))، فيدخل فيه كلُّ إحسان، ولو ببَسْط الوجه، والكلمة الطيبة، وفي الصحيح عن عديِّ بن حاتم، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((ما منكم مِن أحدٍ إلا سيكلِّمه ربُّه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب، فينظر أيمنَ منه فلا يرى إلا شيئًا قدَّمه، وينظر أشأَمَ منه فلا يرى إلا شيئًا قدَّمه، وينظر أمامه

فيستقبِل النار؛ فمَنِ استطاع منكم أن يتَّقيَ النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فليفعَلْ، فإن لم يجِدْ فبكلمةٍ طيبة، وفي السنن:((لا تحقِرَنَّ مِن المعروفِ شيئًا، ولو أن تلقى أخاكَ بوجهٍ طَلْق)) [9].

وأما حقيقةُ الصبر فهو "خُلُق فاضلٌ مِن أخلاق النفس، يمتنع به مِن فعل ما لا يحسُنُ ولا يجمُلُ، وهو قوَّة مِن قوى النفس، التي بها صلاحُ شأنها، وقوام أمرها."

وقال موسى صلواتُ الله وسلامه عليه: "اللهم لكَ الحمدُ، وإليك المشتكى، وأنتَ المستعانُ، وبك المستغاثُ، وعليك التُّكلانُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بك."

وقيل: الصبرُ المقام على البلاء بحُسْن الصحبة كالمقام مع العافية، ومعنى هذا أن للهِ على العبد عبوديةً في عافيته، وفي بلائه؛ فعليه أن يُحسِن صحبةَ العافية بالشكر، وصحبة البلاء بالصبر، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الصبرُ مطيَّةٌ لا تكبو"، وقال عمرو بن عثمان المكيُّ: "الصبرُ هو الثبات مع الله، وتلقِّي بلائِه بالرحبِ والدَّعَة"، ومعنى هذا أنه يتلقَّى البلاء بصدرٍ واسع، لا يتعلَّقُ بالضيق والسَّخَط والشكوى، وقال الخواص: "الصبرُ: الثباتُ على أحكامِ الكتاب والسنَّة"، وقال رويم: "الصبرُ: تركُ الشَّكوى"، فسَّره بلازمِه، وقال غيره: "الصبرُ هو الاستعانةُ بالله.[10]"

إن الشخصَ البالغ العاقل المسلم لا يستغني عن الصبر في حالة من الأحوال، ما دام في دار التكليف، والأقلام جارية عليه، فإنه بين أمرٍ يجبُ عليه امتثالُه، والصبر لا بد منه قولًا وفعلًا، وبين نهيٍ يجب عليه اجتنابُه وتركُه، وبين نعمة يجب عليه شكرُ المنعِم عليها، والصبر عليه، وبين قضاء وقدر يجب عليه الصبرُ فيهما، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه، فالصبر لازمٌ له إلى الممات، فإن قيل: النِّعم يجب الصبر عليه؟ قيل: نعم؛ لأنها مِن الابتلاء؛ كما قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: 15]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا﴾ [الفجر: 16، 17]؛ أي: ليس الأمر كذلك، وإنما اللهُ تعالى يبتلي عباده بالغنى والفقر، فينظر مَن هو الشاكر الصابر على ما ابتلاه به، كما يبتلي عبادَه بالمصائب والأسقام؛ تطهيرًا لهم مِن الذُّنوب والآثامِ.[11]

ويحتاجُ العبد إلى الصبرِ في ثلاثة أحوال:

أولاها: قبل الشروع في العبادات، بتصحيح النيةِ والإخلاص، وعقد العزم على توفية المأمور به، وتجنُّب دواعي الرياء والسُّمعة.

والحالة الثانية: الصبر حالَ العمل، فيلازم الصبرَ عند دواعي التقصير فيه والتفريط، ويلازم على استصحاب ذِكر النية وحضور القلب بين يدَيِ المعبود، وهو محتاجٌ إلى الصبر، توفيةَ أركانها وشروطها، وواجباتها وسُننها.

والحالة الثالثة: الصبر بعد الفراغ من العمل، فيحذر مِن الإتيان بما يُبطِله؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264]؛ فالصبرُ على محافظتِها بعد الفراغ أنفعُ ما للعبد، هذا معنى ما ذكره ابن تيمية.[12]

وفي الصبرِ: احتمال الأذى، وكَظْم الغيظ، والعفو عن الناس، ومخالفة الهوى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود: 9 – 11].

وليس مِن حُسن النية للرعيةِ والإحسان إليهم أن يفعَل ما يهوَوْنَه ويترُكَ ما يكرهونه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: 71]، وقال لأصحاب نبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ [الحجرات: 7]، وقال الحسَن البَصري: "إذا كان يومُ القيامة، نادى منادٍ مِن بطنان العرش: ألا لِيَقُمْ مَن أجره على الله، فلا يقومُ إلا مَن عفا وأصلح.[13]"

قال عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: "الصبرُ ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية؛ فمَن صبَر على المصيبة حتى يردَّها بحُسن عزائها، كُتِب له ثلاثمائة درجة، ومَن صبر على الطاعة، كُتب له ستمائة درجة، ومَن صبر عن المعصية، كُتب له تسعمائة درجة."

قال الإمام أحمدُ: حدثنا وكيع، عن مالك بن مِغول، عن أبي السفر، قال: "مرض أبو بكرٍ فعادُوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيبَ؟ فقال: قد رآني الطبيبُ، قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعَّالٌ لِمَا أريد."

وقال عمرُ بن عبد العزيز: "ما أنعَم اللهُ على عبدٍ نعمةً، فانتزَعها منه، فعاضَه مكانَها الصبر، إلا كان ما عوَّضه خيرًا مما انتزَعه منه."

وقال الحسنُ: "الصبر كنزٌ مِن كنوز الخير، لا يعطيه اللهُ إلا لعبدٍ كريم عنده."

."وعن سعيد بن جُبَير، قال: "الصبر اعترافُ العبد لله بما أصاب منه، واحتسابه عند الله

وقال الجنيد، وقد سُئل عن الصبر، فقال: "هو تجرُّع المرارة من غيرِ تعبُّس."

وقال الفضيلُ بن عِياض: في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 24]، ثم قال: "صبَروا على ما أُمِروا به، وصبَروا عمَّا نُهوا عنه."

وقال ميمونُ بن مِهران: "الصبرُ صبران: فالصبرُ على المصيبة حَسَنٌ، وأفضلُ منه الصبرُ عن المعصيةِ" [14].

الهوامش:

---

[1]أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: "موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر"، المحقق / المترجم: حمدي بن عبدالمجيد السلفي مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الثالثة، 1419هـ ، 1 / 328، والحديث أيضًا عند: أحمد بن الحسين البيهقي: "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد"، المحقق أحمد إبراهيم أبو العينين، الناشر: دار الفضيلة، الطبعة: الأولى، 1420هـ، ص 147، عبدالحق الإشبيلي: "الأحكام الشرعية الكبرى"، المحقق: حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1422هـ، 333/3، وعبدالرحمن بن رجب الحنبلي: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا"، المحقق شعيب الأرناؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ، 1/ 459، ومحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: "سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام"، المحقق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة – بيروت، الطبعة السابعة، 1426هـ، 4 / 267.

[2]محمد بن إسماعيل البخاري: "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه"، المحقق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية – القاهرة، الطبعة الأولى ، 1400هـ، حديث(6470) .

[3]تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، الحرَّاني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "قاعدة في الصبر"، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 116 – السنة 34، 1422هـ/2002م، ص 90 – 91.

[4]نفسه، ص 91 – 94.

[5]ينظر: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ): "لسان العرب"، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، 4 / 437 – 439.

[6]ابن منظور: "لسان العرب" ، 4 / 439 – 440.

[7]أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى"، تحقيق عبدالوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، 1407 – 1987 م، ص 149.

[8]محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1409هـ/ 1989 م، ص 15 – 16.

[9]تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية، الحرَّاني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "جامع الرسائل"، المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2001م، 1 / 81 – 83.

[10]ابن قيم الجوزية: "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، ص 18.

[11]محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (المتوفى: 785هـ): "تسلية أهل المصائب"، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1426 هـ – 2005 م، ص 143.

[12]المنبجي: "تسلية أهل المصائب"، ص 144.

[13]ابن تيمية: "جامع الرسائل"، 1 / 84.

[14]المنبجي "تسلية أهل المصائب"، ص 142.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني

نصيحة الرسول الشاملة [116]

روى الإمام أحمد بسنده

قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن يزيد بن خمير، عن سليم بن عامر، عن أوسط، قال:

خطبنا أبو بكر، فقال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام الأول، وبكى أبو بكر، فقال أبو بكر: سلوا الله المعافاة – أو قال: العافية – فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية – أو المعافاة – عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا إخوانا كما أمركم الله".

أخي الحبيب يا طالب الحكمة النبوية يا من تحب وتتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بهذه النصيحة من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

[116] مدونة خزائن الحكمة، الأربعاء، 17 مارس 2021، على الرابط الاتي: http://rawaahussain.blogspot.com/2021/03/blog-post_17.html

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١ -اسأل الله المعافاة.

٢ -عليك بالصدق.

٣ -إياك والكذب.

٤ -لا تحسد.

٥ -لا تباغض.

٦ -لا تقاطع.

٧ -لا تدابر.

٨ -كن أخاً لإخوانك.

تأمل في نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ستجدها جمعت خير الدنيا والآخرة.

الهوامش:

(ينظر الحديث في "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، ١/ ١٨٤.

المبحث الثالث

كيف تصبح نشيطاً [117]

أخي الحبيب، يا طالب الحكمة الإسلامية:

هل تشعر بالكسل يدب في أوصالك، وبالكاد تحرك جسدك. هل أغرقتك الحياة المادية بمطالبها فأقعدتك عن وظيفة العبودية لله رب العالمين؟ هل تشعر أنك تحتاج إلى أحد ما، خادم أو معاون أو ما شابه يعينك في قضاء حاجاتك؟

أبشرك ستتخلص من كل ذلك إذا طبقت نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة ولصهره علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

اقرأ معي الحديث الآتي:

عن ابن أبي ليلى عن علي أن فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم أتت النبي صلى الله عليه وسلم تستخدمه خادما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلك على ما هو خير لك منه؟" قالت: وما هو؟ قال: "تسبحين الله عند منامك ثلاثا وثلاثين وتكبري ثلاثا وثلاثين وتحمدي أربعا

---

[117] مدونة خزائن الحكمة، الأربعاء، 17 مارس 2021، على الرابط الاتي: http://rawaahussain.blogspot.com/2021/03/blog-post.html

وثلاثين"، قال سفيان لا أدري أيها (أربع وثلاثون) قال علي فما تركتها منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل ولا ليلة صفين قال ولا ليلة صفين.

وفي رواية أخرى:

عن محمد بن كعب، عن (شبث) بن ربعي، عن علي بن أبي طالب، قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي، فقال: علي لفاطمة ايت أباك فسليه خادماً تتقي بها العمل. فأتت أباها حين امست، فقال: "لها ما لك يا بنية؟"، قالت: لا شيء جئت أسلم عليك، واستحيت أن تسأل شيئاً، حتى إذا كانت القابلة، قال: ايت أباك فسليه خادما تتقي بها العمل، فخرجت حتى إذا جاءته، قال: مالك يا بنية؟ قالت: لا شيء يا أبتاه جئت لأنظر كيف أمسيت، واستحيت أن تسأله شيئاً، حتى إذا كانت الليلة الثالثة، قال لها علي: امشي، فخرجا جميعا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما أتى بكما؟" فقال له علي: أي رسول الله شق علينا العمل، فأردنا ان تعطينا خادما نتقي بها العمل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل أدلكما على خير لكما من حمر النعم؟" فقال علي: نعم يا رسول الله، صلى الله عليك، قال: "تكبيرات وتسبيحات وتحميدات، مائة حين تريدان تنامان فتبيتان على ألف حسنة، ومثلها حين تصبحان"، قال علي: فما فاتني منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليلة صفين فإني أنسيتها حتى ذكرتها من آخر الليل."

أخي طالب الحكمة النبوية:

إذا طبقت نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فستتغير حياتك تغيراً هائلاً بإذن الله.

الهوامش:

_____

(ينظر الحديث بروايتيه عند أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ): "عمل اليوم والليلة"، المحقق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1406، 1 / 473 – 474.

الفصل الخامس

مباحث تطبيقية

في الحكمة النبوية

المبحث الأول

دلوني على السوق [118]

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرَّة، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم: عبد الرحمن، ويكنى أبا محمد، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث.

وُلد عبد الرحمن بعد الفيل بعشر سنين، وكان طويلًا، حسن الوجه، رقيق البشرة، مشربًا حمرة، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجَرَ إلى الحبشة الهجرتين] 1.[

وقال الذهبي: ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو محمد القرشي الزهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى.

روى عنه بنوه: إبراهيم، وحميد، وعمرو، ومصعب، وأبو سلمة، ومالك بن أوس بن الحدثان، وأنس بن مالك، ومحمد بن جبير بن مطعم، وغيلان بن شرحبيل، وآخرون.

---

[118] نشر في موقع الألوكة، تاريخ الإضافة: 2016/6/13 ميلادي - 1437/9/7 هجري، رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/104331/#ixzz4mTjV7cY0

وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، مولده بعد الفيل بعشر سنين، وقد أسقط البخاري وغيره (عبدًا) من نسبه.

وقال الهيثم بن كليب وغيره: (عبد الحارث) في (عبد بن الحارث).

وعن عبد الرحمن قال: كان اسمي عبد عمرو، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الرحمن، وعن سهلة بنت عاصم قالت: كان عبد الرحمن أبيض، أعيَن، أهدب الأشفار، أقنى، طويل النابين الأعليين، ربما أدمى نابُه شفتَه، له جمة أسفل أذنيه، أعنق، ضخم الكفين [2].

يقول البخاري: حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال: قال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالًا، فأَقسِم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتيَّ هويتَ نزلتُ لك عنها، فإذا حلَّتْ، تزوجتَها، قال: فقال له عبدالرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع، قال: فغدا إليه عبدالرحمن، فأتى بأقط وسمن، قال: ثم تابع الغدو، فما لبث أن جاء عبدالرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تزوجتَ؟))، قال: نعم، قال: ((ومَن؟))، قال: امرأةً من الأنصار، قال: ((كم سُقْتَ؟)) قال: زنة نواة من ذهب - أو نواةً من ذهب - فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَوْلِمْ ولو بشاة)) [3].

يلاحظ أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بعد أيام من وصوله إلى المدينة المنورة مهاجرًا بدينه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، تاركًا بلده مكة وفيها كل شيء بالنسبة له، عُرض عليه عرضٌ مغرٍ من قِبَل أخيه في الله الصحابي سعد بن الربيع رضي الله عنه، ولكنه

أبى إلا أن يكون مستقلًّا بقراره، وبعفة نفس، وبثقة عالية برزق الله سبحانه، طلب منه أن يدلَّه على السوق، وبعد أيام من دخوله السوق تزوَّج وأَمهرَ نواة من ذهب، وأولَم بشاةٍ بناءً على توجيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذًا هذا هو السوق، يستطيع من دخله واشتغل فيه أن يتزوَّج بعد أيام، وأن يقدِّم مهرًا نواة من ذهب.

وفي مسند عبد بن حميد: أنا أبو إسحاق أحمد بن إسحاق الحضرمي، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت وحميد الطويل، عن أنس بن مالك: أن عبدالرحمن بن عوف لما قَدِم المدينة، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له سعد: يا أخي، إني من أكثر أهل المدينة مالًا، فانظر شطر مالي فخذْه، وتحتي امرأتان، فانظر أيتهما شئتَ حتى أنزل لك عنها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فدلُّوه على السوق، فاشترى وباع فربح، فجاء بشيء من سمن وأقط، ثم لبث ما شاء الله فجاء وعليه "ردغ" زعفران، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مهيم؟))، قال: تزوجتُ امرأةً، قال: ((ما أصدقتَها؟))، قال: وزن نواة من ذهب، قال: ((أولم ولو بشاة))، قال عبدالرحمن: لقد رأيتُني بعد ذلك ولو رفعت حجرًا لظننت أني سأصيب تحته ذهبًا أو فضةً. [4].

ولنتأمل في قول الصحابي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "لقد رأيتُني بعد ذلك ولو رفعت حجرًا لظننتُ أني سأُصيب تحته ذهبًا أو فضةً"، إذًا هذا هو السوق، وهذه إمكانات العامِلين فيه بذكاء.

ذكر الذهبي ناقلًا عن الإمام أحمد في "مسنده" من حديث أنس، أن عبد الرحمن أثرى وكثر ماله حتى قدمت له مرة سبعمائة راحِلة تَحمل البُرَّ والدقيق، فلما قدمت سمعَ لها أهل المدينة رجَّةً، فبلغ ذلك عائشة فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((عبد الرحمن بن

عوف لا يدخل الجنة إلا حبوًا))، فلما بلغه قال: يا أُمَّهْ، أشهدك أنها بأحمالها وأحلاسها في سبيل الله [5].

الهوامش:

[1]جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم "، المحقِّق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ - 1992 م، 5 / 33.

[2]شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ): "تاريخ الإسلام ووفَيَات المشاهير والأعلام"، المحقق: عمر عبدالسلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413 هـ - 1993 م، 3 / 391.

[3]محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، 1422هـ، 3 / 52، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبدالباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1395 هـ - 1975 م، 4 / 328، إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي مولاهم، أبو إسحاق المدني - ويكني أيضًا: أبا إبراهيم (المتوفى: 180هـ): "حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني"،

دراسة وتحقيق: عمر بن رفود بن رفيد السُّفياني، ط1، – مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – شركة الرياض للنشر والتوزيع 1418 هـ – 1998 م، ص: 175، الشافعي أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبدالمطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): "المسند"، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون تاريخ، 1 / 246، 2 / 6، 3 / 32، أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ): "المصنَّف"، المحقِّق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي – الهند، المكتب الإسلامي – بيروت، 1403، 6 / 177، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقِّق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ – 2001 م، 20 / 348، 21 / 346.

[4]أبو محمد عبدالحميد بن حميد بن نصر الكَسي ويقال له: الكَشِّي بالفتح والإعجام (المتوفى: 249هـ): "المنتخب من مسند عبد بن حميد"، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، ط2، دار بلنسية للنشر والتوزيع 1423هـ – 2002م، 2 / 296.

[5]شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ): "تاريخ الإسلام ووفَيَات المشاهير والأعلام"، المحقق: عمر عبدالسلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413 هـ – 1993 م، 3 / 392، وينظر: د. عبدالحكيم الأنيس: "دخول عبدالرحمن بن عوف الجنة حبوًا"، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 15 / 11 / 2015 ميلادي – 2 / 2 / 1437 هجري.

المبحث الثاني

والذي نفس محمد بيده [119]

لاحظتُ عند قراءة حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن النبيَّ عليه الصلاة والسلام يستخدم صيغةَ القسم الآتي: ((والذي نفس محمد بيده))، والنبي عليه الصلاة والسلام صادق في كلِّ ما يقول ويفعل ويقرر، ويبدو – والله أعلم – أن استخدامه صلى الله عليه وسلم للقسم المذكور إنما هو لمزيد تأكيدٍ حول أهمية الأمر الذي يُقسِم عليه.

ذكر ابن المُلقِّن في كتابه "البدر المنير": "أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نفس أبي القاسم بيده، أو نفس محمد بيده"، وقال ابن الملقن: "هذا الحديث صحيح رواه أحمد في "مسنده"، وأبو داود في "سننه" من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد في اليمين قال: ((لا والذي نفسي بيده))، ((والذي نفس محمد بيده))، ومن ذلك حديث أبي هريرة المُخرَّج في "الصحيحين" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده، لو تعلمون ما أعلَمُ، لضَحكتُم قليلًا، ولبَكَيْتم كثيرًا))، وحديث أبي هريرة أيضًا الثابت في "صحيح البخاري" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسُ محمدٍ بيده، لو أن عندي ملءَ أُحُدٍ ذهبًا لأحببت ألَّا يأتيَ عليَّ ثلاث ليالٍ وعندي

---

[119] نشر في موقع الألوكة، تاريخ الإضافة: 2015/12/28 ميلادي – 1437/3/16 هجري، رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/96654/#ixzz4mTk6l2WK

منه دينار أَجِد مَن يقبله، إلا شيء أرصدُه لدَيْنٍ عليَّ))، وغير ذلك من الأحاديث المستفيضة المعروفة]" [1].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفس محمدٍ بيده، لو كان عندي أُحُدٍ ذهبًا، لأحببت ألَّا يأتي عليَّ ثلاث وعندي منه دينار لا أجد من يتقبَّلُه مني، ليس شيء أرصده لدَيْن عليَّ)) [2].

وأحبَبْتُ في هذا المقال أن أبيِّن بعض المواضع التي أقسم النبي صلى الله عليه وسلم فيها مُستخدِمًا صيغة القسم المذكور:

1- النهي عن الفحش، والتفحُّش، وخيانة الأمانة:

من الأمور التي أقسم عليها النبي صلى الله عليه وسلم حصول الفحش والتفحُّش وخيانة الأمانة، وقطيعة الأرحام، وسوء الجوار، وصفة المؤمن، وحوضه عليه الصلاة والسلام في الجنة:

عن عبدالله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن اللهَ يُبغِضُ الفُحشَ والتفحُّش، والذي نفسُ محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يخوَّنَ الأمين، ويُؤتَمَنَ الخائنُ، حتى يظهرَ الفُحْشُ والتفحُّش، وقطيعةُ الأرحام، وسوءُ الجِوار، والذي نفسُ محمدٍ بيده، إن مثلَ المؤمن لَكمثل القطعةِ من الذهب نَفَخ عليها صاحبُها فلم تَغيَّر ولم تَنقُصْ، والذي نفس محمد بيده، إن مثلَ المؤمن لكمثل النحلةِ أكلَتْ طيبًا ووضعت طَيِّبًا، ووقعت فلم تكسر ولم تفسد))، قال: وقال: ((ألا إن لي حوضًا ما بين ناحيتَيْه كما بين أيلة إلى مكة - أو قال: صنعاء إلى المدينة - وإن فيه من الأباريق مثلَ الكواكب، هو أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، مَن شرب منه لم يَظْمَأْ بعدها أبدًا)) [3].

2-سَعَة رحمة الله سبحانه:

وأقسم النبي صلى الله عليه وسلم مستخدِمًا صيغة القسم: ((والذي نفس محمدٍ بيده))؛ ليُؤكِّد سَعَة رحمة الله تبارك وتعالى:

عن أنس بن مالك قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: ((والذي نفسي بيده - أو والذي نفس محمد بيده - لو أخطأتم حتى تبلُغَ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله، لغفر لكم، والذي نفسُ محمدٍ بيده - أو والذي نفسي بيده - لو لم تُخطِئوا، لجاء الله عز وجل بقومٍ يُخطئون، ثم يستغفرون فيغفر لهم)) [4].

3-شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم:

وأقسم النبي صلى الله عليه وسلم بـ"والذي نفس محمد بيده" على حصول شفاعته في الآخرة لمَن شهد بوحدانية الله سبحانه:

عن أبي هريرة أنه قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، ماذا ردَّ إليك ربُّك في الشفاعة؟ قال: ((والذي نفس محمد بيده، لقد ظننت أنك أوَّلُ مَن يسألني عن ذلك من أمتي؛ لِمَا رأيتُ مِن حرصك على العلم، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لَمَا يُهمُّني من انقصافهم على أبواب الجنة أهمُّ عندي من تمام شفاعتي لهم، وشفاعتي لمَن شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا، وأن محمدًا رسول الله، يُصدِّقُ لسانُه قلبَه، وقلبُه لسانَه)) [5].

4- سَعَة مصاريع الجنة:

وحدَّث النبي صلى الله عليه وسلم عن اليوم الآخر وشفاعته لأمته، وأقسَمَ في مَعْرِض بيانه لذلك اليوم مُستخدِمًا صيغة القسم: "والذي نفس محمد بيده:"

عن أبي هريرة قال: أُتِي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تُعجِبُه، فنهس منها نهسةً فقال: ((أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بمَ ذاك؟ يَجمَعُ الله يوم القيامة الأوَّلين والآخِرين في صعيد واحد، فيُسمعُهم الداعي، ويَنفذهم البصرُ، وتدنو الشمس، فيبلغُ الناسَ من الغمِّ والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: أَلَا ترون ما أنتم فيه؟ أَلَا ترَوْن ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون مَن يشفعُ لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدمَ، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقَك الله بيده، ونفَخ فيك من رُوحه، وأمَر الملائكة فسجدوا لك؛ اشفَعْ لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضِبَ اليوم غضبًا لم يَغْضَبْ قبلَه مثله، ولن يغضَب بعدَه مثلَه، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصَيْتُه، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوحُ، أنت أول الرسل إلى الأرض، وسمَّاك الله عبدًا شكورًا؛ اشفَعْ لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غَضِب اليوم غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثله، ولن يَغْضبَ بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبيُّ الله وخليلُه من أهل الأرض، اشفَعْ لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غَضِب اليوم غضبًا لم يغضَبْ قبله مثلَه، ولا يغضب بعدَه مثله، وذكر كَذَبَاتِه، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفَعْ لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى صلى الله عليه وسلم: إن ربي قد غَضِب اليوم غضبًا لم يغضب قبلَه مثله، ولن يَغْضَبَ بعده مثلَه، وإني قتلت نفسًا لم أُومَرْ بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه وسلم.

فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلَّمْتَ الناس في المهد، وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، فاشفَعْ لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فيقول لهم عيسى صلى الله عليه وسلم: إن ربي قد غَضِب اليوم غضبًا لم يَغضَبْ قبلَه مثله، ولن يَغضَبَ بعده مثلَه – ولم يَذكرْ له ذنبًا – نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمدٍ.

فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسولُ الله، وخاتمُ الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأَنطَلِقُ، فآتي تحتَ العرش، فأَقَعُ ساجدًا لربي، ثم يَفتَحُ الله عليَّ ويُلهِمُني من محامده وحسنِ الثناء عليه شيئًا لم يَفْتحْه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسَك، سَلْ تُعطَه، اشفَعْ تُشفَّع، فأَرفَعُ رأسي، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقال: يا محمدُ، أَدْخِلِ الجنةَ من أمتك من لا حسابَ عليه من البابِ الأيمنِ من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسُ محمد بيده، إن ما بين المصراعَيْن من مصاريع الجنة لكما بينَ مكَّة وهَجَر، أو كما بين مكَة وبُصْرَى)) [6].

5- علم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني أرى ما لا تَرَون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ؛ ما فيها موضعُ أربع أصابع إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدًا لله، واللهِ لو تعلمون ما أعلَمُ، لضحكتم قليلًا ولبَكَيْتُم كثيرًا، وما تلذَّذْتم بالنساء على الفُرُش، ولخَرَجْتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله، لوددْتُ أني كنت شجرةً تُعضَدُ))، وفي الباب عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وأنس، هذا حديث حسن غريب. ويُروَى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال: (لودِدْتُ أني كنت شجرةً تُعضَدُ)، ويروى عن أبي ذرٍّ موقوفًا [7].

الهوامش:

_____

[1] ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): "البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير"؛ تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض– السعودية، 1425هـ–2004م، 9 / 448.

[2] محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معْبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): "صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1414 – 1993، 14 / 260، حديث) 6350.(

[3] أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط 1، دار الحديث - القاهرة، 1416 هـ - 1995 م، 6 / 350، حديث) 6872.(

[4] أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ): "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م، 10 / 215، حديث (17624)، قال الهيثمي: رواه أحمد، وأبو يعلى، ورجاله ثقات.

[5] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، 14 / 384، (حديث 6466).

[6] مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1 / 184، (حديث 194).

[7] محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبدالباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1395 هـ - 1975 م، 4 / 556، حديث) 2312).

المبحث الثالث

دعوة ذي النون [120]

بشارة من بشارات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحاب الابتلاء والأمراض والمِحن، وهي ما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بـ (دعوة ذي النون)، هذه الدعوة التي لا تُردُّ بإذن الله، فإلى هذه الدعوة المستجابة – إن شاء الله:-

1-حدَّثنا عبدالله بن سعيد قال: نا أبو خالد الأحمر، قال: نا كثير بن زيد، عن المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوةَ ذي النون، قال: وجاء أعرابي فشَغَله، فاتبعته، فالتفتَ إليَّ فقال: ((أبا إسحاق))، قلت: نعم، قال: ((فمَهْ؟))، قلت: ذكرتَ دعوة ذي النون، ثم جاء أعرابي فشغلك، قال: ((نعم، دعوة ذي النون إذ نادى في بطن الحوت: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87]، فإنه لم يدعُ بها أحد إلا استُجيب له)) [1].

---

[120] نشر في الألوكة تاريخ الإضافة: 2015/11/24 ميلادي – 1437/2/11 هجري، رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/94996/

2- عن سعد بن أبي وقاص قال: مررت بعثمانَ بن عفان في المسجد، فسلَّمت عليه، فملأ عينيه مني، ثم لم يردَّ عليَّ السلام، فأتيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقلت: يا أمير المؤمنين، هل حدث في الإسلام شيء - مرتين -؟ قال: لا، وما ذاك؟

قلت: لا، إلا أني مررتُ بعثمانَ آنفًا في المسجد، فسلمت عليه، فملأ عينيه مني، ثم لم يردَّ عليَّ السلام!

قال: فأرسل عمرُ إلى عثمان، فدعاه، فقال: ما منعك ألا تكون رددت على أخيك السلام؟ قال عثمانُ: ما فعلت، قلت: بلى، قال: حتى حلف، وحلفت، قال: ثم إن عثمان ذكر، فقال: بلى، وأستغفر الله، وأتوب إليه، إنك مررت بي آنفًا، وأنا أحدِّث نفسي بكلمة سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما ذكرتُها قطُّ إلا يغشى بصري وقلبي غشاوة.

قال سعد: فأنا أنبِّئك بها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا أول دعوة، ثم جاءه أعرابي فشَغَله حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتَبِعْتُه حتى أشفقتُ أن يسبقَني إلى منزله، ضربت بقدمي الأرضَ، فالتفت إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((من هذا، أبو إسحاق؟))، قلت: نعم يا رسول الله، قال: ((فمَهْ؟))، قلت: لا والله إلا أنك ذكرتَ لنا أول دعوةٍ، ثم جاءك هذا الأعرابي فشغَلك، قال: ((نعم، دعوةُ ذي النون إذ هو في بطن الحوت: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87]؛ فإنه لن يدعوَ بها مسلم ربَّه في شيء قط إلا استجاب له)) [2].

الهوامش:

_____

[1] أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)؛ مسند البزار المنشور باسم "البحر الزخار"، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبدالخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، ط1، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، (3/ 363)، حديث (1163).

[2] علي بن أبي بكر الهيثمي: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، مؤسسة المعارف، 1406هـ، 7 / 71؛ وانظر: زكي الدين عبدالعظيم، المنذري: "الترغيب والترهيب"، تحقيق محمد السيد، ط1، دار الفجر للتراث – القاهرة، 1421هـ، 2/ 395.

المبحث الرابع

من حكمة البيوع

عند علي رضي الله عنه [121]

أدناه، مختارات من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير تتضمن شيئاً من حكمة علي رضي الله عنه في فقه البيوع:

1- عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ عَلِيٌّ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا رَزَأْتُ مِنْ مَالِكُمْ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا إِلَّا هَذِهِ. وَأَخْرَجَ قَارُورَةً مِنْ كُمِّ قَمِيصِهِ فِيهَا طِيبٌ. فَقَالَ: أَهْدَاهَا إِلَى الدِّهْقَانُ. ثُمَّ أَتَى بَيْتَ الْمَالِ فَقَالَ: خُذُوا. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَّهْ

يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَهْ

وَفِي رِوَايَةٍ: مَرَّهْ. وَفِي رِوَايَةٍ:

---

[121] نشر في الألوكة، تاريخ الإضافة: 2014/11/2 ميلادي - 1436/1/9 هجري، تاريخ الإضافة /https://www.alukah.net/sharia/0/77926

طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَّهْ (البداية والنهاية لابن كثير (ت 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1418 هـ - 1997 م، 1424هـ / 2003م 11 / 102 - 103).

2- وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي " الزُّهْدِ "، عَنْ عَبَّادِ بْنِ الْعَوَّامِ، عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ مَوْلًى لِأَبِي عُصَيْفِيرٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا خَرَجَ فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْكَرَابِيسِ، فَقَالَ لَهُ: عِنْدَكَ قَمِيصٌ سُنْبُلَانِيٌّ؟ قَالَ: فَأَخْرُجُ إِلَيْهِ قَمِيصًا فَلَبِسَهُ، فَإِذَا هُوَ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، فَنَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَقَالَ: مَا أَرَى إِلَّا قَدْرًا حَسَنًا، بِكَمْ هُوَ؟ قَالَ: بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَحَلَّهَا مِنْ إِزَارِهِ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ (البداية والنهاية، 11 / 105).

3- وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: أَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، أَنَا الْحَسَنُ بْنُ جُرْمُوزٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا وَهُوَ يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ وَعَلَيْهِ قِطْرِيَّتَانِ؛ إِزَارٌ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَرِدَاءٌ مُشَمَّرٌ قَرِيبٌ مِنْهُ، وَمَعَهُ دِرَّةٌ لَهُ يَمْشِي بِهَا فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنِ الْبَيْعِ، وَيَقُولُ: أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ. وَيَقُولُ: لَا تَنْفُخُوا اللَّحْمَ (البداية والنهاية، 11 / 105).

4- وَقَالَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، ثَنَا الْمُخْتَارُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي مَطَرٍ قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَجُلٌ يُنَادِي مِنْ خَلْفِي: ارْفَعْ إِزَارَكَ؛ فَإِنَّهُ أَنْقَى لِثَوْبِكَ وَأَتْقَى لَكَ، وَخُذْ مِنْ رَأْسِكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا. فَمَشَيْتُ خَلْفَهُ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيَّ مُؤْتَزِرٌ بِإِزَارٍ مُرْتَدٍ بِرِدَاءٍ وَمَعَهُ الدِّرَّةُ، كَأَنَّهُ أَعْرَابِيٌّ بَدَوِيٌّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ لِي رَجُلٌ: أَرَاكَ غَرِيبًا بِهَذَا الْبَلَدِ. فَقُلْتُ: أَجَلْ، أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. فَقَالَ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِ بَنَى أَبِي مُعَيْطٍ وَهِيَ سُوقُ الْإِبِلِ، فَقَالَ: بِيعُوا وَلَا تَحْلِفُوا؛ فَإِنَّ الْيَمِينَ تُنْفِقُ السِّلْعَةَ وَتَمْحَقُ الْبَرَكَةَ. ثُمَّ أَتَى أَصْحَابَ التَّمْرِ، فَإِذَا خَادِمٌ تَبْكِي فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: بَاعَنِي هَذَا الرَّجُلُ تَمْرًا بِدِرْهَمٍ فَرَدَّهُ مَوَالِيَّ، فَأَبَى

أَنْ يَقْبَلَهُ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: خُذْ تَمْرَكَ وَأَعْطِهَا دِرْهَمَهَا؛ فَإِنَّهَا لَيْسَ لَهَا أَمْرٌ. فَدَفَعَهُ، فَقُلْتُ: أَتَدْرِي مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لَا. فَقُلْتُ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَصَبَّتْ تَمْرَهُ وَأَعْطَاهَا دِرْهَمَهَا، ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ: أُحِبُّ أَنْ تَرْضَى عَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: مَا أَرْضَانِي عَنْكَ إِذَا أَوْفَيْتَ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ. ثُمَّ مَرَّ مُجْتَازًا بِأَصْحَابِ التَّمْرِ فَقَالَ: يَا أَصْحَابَ التَّمْرِ، أَطْعِمُوا الْمَسَاكِينَ يَرْبُ كَسْبُكُمْ. ثُمَّ مَرَّ مُجْتَازًا وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِ السَّمَكِ، فَقَالَ: لَا يُبَاعُ فِي سُوقِنَا طَافٍ. ثُمَّ أَتَى دَارَ فُرَاتٍ وَهِيَ سُوقُ الْكَرَابِيسِ، فَأَتَى شَيْخًا فَقَالَ: يَا شَيْخُ، أَحْسِنْ بَيْعِي فِي قَمِيصٍ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ. فَلَمَّا عَرَفَهُ لَمْ يَشْتَرِ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ آخَرَ، فَلَمَّا عَرَفَهُ لَمْ يَشْتَرِ مِنْهُ شَيْئًا، فَأَتَى غُلَامًا حَدَثًا فَاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصًا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، وَكُمُّهُ مَا بَيْنَ الرُّسْغَيْنِ إِلَى الْكَفَّيْنِ يَقُولُ فِي لُبْسِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي مِنَ الرِّيَاشِ مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ، وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي. فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا شَيْءٌ تَرْوِيهِ عَنْ نَفْسِكَ، أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: لَا، بَلْ شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ عِنْدَ الْكِسْوَةِ. فَجَاءَ أَبُو الْغُلَامِ صَاحِبُ الثَّوْبِ فَقِيلَ لَهُ: يَا فُلَانُ، قَدْ بَاعَ ابْنُكَ الْيَوْمَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَمِيصًا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ. قَالَ: أَفَلَا أَخَذْتَ مِنْهُ دِرْهَمَيْنِ؟ فَأَخَذَ مِنْهُ أَبُوهُ دِرْهَمًا، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى بَابِ الرَّحْبَةِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ هَذَا الدِّرْهَمَ. فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَذَا الدِّرْهَمِ؟ فَقَالَ: كَانَ قَمِيصًا ثُمِّنَ دِرْهَمَيْنِ. فَقَالَ: بَاعَنِي رِضَايَ وَأَخَذَ رِضَاهُ (البداية والنهاية، 11 / 106 - 107).

المبحث الخامس

سيد الناس يوم القيامة [122]

بيَّن لنا القرآن الكريم مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلته عند الله سبحانه، فذكَره اللهُ سبحانه باسمه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

وقال جل شأنه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40].

وخص الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام بسورة من سورة القرآن، وهي سورة محمد عليه الصلاة والسلام، وقال تعالى في أولها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 2].

وقال سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

---

[122] نشر في الألوكة، تاريخ الإضافة: 2015/11/25 ميلادي - 1437/2/12 هجري، الرابط /https://www.alukah.net/sharia/0/95047

وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

وبالجملة، مزايا وفضائل وخصائص وشمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرةٌ جدًّا، ومن هذه الخصائص – وهو ما نريد تِبيانه في هذا المقال – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما بيَّن هو عليه الصلاة والسلام – سيِّد الناس يوم القيامة.

ولنتأمل في هذه الرواية:

جاء في صحيح البخاري:

حدَّثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أبو حيان التيمي، عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتيَ بلَحم فرُفع إليه الذراع، وكانت تُعجِبُه، فنهش منها نهشةً، ثم قال: ((أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأوَّلين والآخِرين في صعيد واحد، يُسمِعهم الداعي ويَنفُذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يُطيقون ولا يَحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنتَ أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمَر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيتُه، نَفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أوَّل الرسلِ إلى أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا

ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إنَّ ربي عزَّ وجلَّ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتُها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهَبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيمُ، أنتَ نبيُّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقولُ لهم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضبَ بعدَه مِثلَه، وإني قد كنتُ كذَبتُ ثلاث كذبات – فذكرهنَّ أبو حيان في الحديث – نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضَّلَك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلَّمت الناس في المهد صبيًّا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمدُ، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبِكَ وما تأخَّر، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلِقُ فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عزَّ وجلَّ، ثمَّ يفتح الله عليَّ من مَحامِدِه وحسْنِ الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثمَّ يُقال: يا مُحمَّد، ارفع رأسك، سلْ تُعطَه، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمَّد، أدخِلْ مِن أمَّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْيَر – أو كما بين مكة وبُصرى)) [1].

الهوامش:

_____

[1]محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط2، دار طوق النجاة (مصوَّرة عن السلطانية، بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، 1422هـ، (6 / 84)، حديث (4712)، وانظر: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: "المسند الصحيح المختصر من السنن بنقْل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1374هـ، (1 / 184)، الرقم (194)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبدالباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395 هـ – 1975 م، (5 / 308)، حديث (3148)، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): " الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408 هـ – 1988 م، (14 / 380)، (حديث 6465).

المبحث السادس

يا عقبة [123]

وصايا نبوية من كنوز الحكمة النبوية تكتب بماء الذهب أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه عقبة بن عامر رضي الله عنه ..

تأمل معي أخي طالب الحكمة النبوية الحديث الآتي الذي رواه الإمام أحمد في مسنده :

عن أبي أمامة الباهلي، عن عقبة بن عامر، قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فابتدأته فأخذت بيده، قال: فقلت: يا رسول الله، ما نجاة المؤمن؟ قال: " يا عقبة، احرس لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك"

قال: ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فابتدأني فأخذ بيدي، فقال: " يا عقبة بن عامر، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم؟ " قال: قلت: بلى، جعلني

---

[123] ينظر: مدونة خزائن الحكمة، الأربعاء، 17 مارس 2021، على الرابط الاتي: http://rawaahussain.blogspot.com/2021/03/blog-post_28.html

الله فداك. قال: *فأقرأني قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس* ثم قال: " يا عقبة، *لا تنساهن، ولا تبت ليلة حتى تقرأهن *" قال: " فما نسيتهن قط منذ قال: لا تنساهن، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن"

قال عقبة: ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فابتدأته فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: " يا عقبة، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك."

إذاً أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر بأن:

١ –يحرس لسانه عن الغيبة والنميمة وكل آفات اللسان.

٢ –أن يسعه بيته حيث السكن والطمأنينة وحيث يكف الأذى عن الناس ويخلو المرء مع ربه.

٣ –أن يبكي على خطيئته فيندم على ذنبه ويتوب إلى الله .

٤ –أن يقرأ سورة الإخلاص والفلق والنَّاس فلا يخلو يومه من قراءتها.

٥ –أن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعرض عمن ظلمه.

الهوامش:

_____

(ينظر الحديث في: مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ).

المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 28/569- 570.

المبحث السابع

أكثروا ذكر هاذم اللذات

كنز من الحكمة النبوية [124]

إذا رأيت أحداً يعاني من (تخمة دنيوية) من فرح شديد، أو بطر كبير، أو ضجر عارم، أو تأفف زائف.. (تخمة دنيوية) تجعله ينظر إلى ما في أيدي الناس لا إلى ما عند الله، تراه غير قانع بما قسم الله له، يلهث وراء الدنيا ليل نهار، ولا يذكر الله سبحانه وتعالى إلا يسيراً، وقد اتخذ كتاب الله مهجوراً.. فرحاً بلذات الدنيا الزائلة، أو رأيت إنساناً عاجزاً قد أقعده الهم والحزن على فوات أمر ما عن القيام بوظيفته الأصيلة وهي (العبودية لله سبحانه وتعالى)، أي إذا لقيت إنساناً شديد الفرح بما في يديه من مسائل الدنيا الزائلة أو شديد الحزن على فوات الدنيا من بين يديه فدله على هذا الكنز من الحكمة النبوية (أكثروا ذكر هاذم اللذات)...

يدلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على دواء عجيب للأدواء التي نعاني منها..

---

[124] نشر في مدونة Islamic Wisdom، بتاريخ 8/ 6/ 2018 م، على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2018/06/08/%d8%a3%d9%83%d8%ab%d8%b1%d9%88%d8%a7-%d8%b0%d9%83%d8%b1-%d9%87%d8%a7%d8%b0%d9%85-%d8%a7%d9%84%d9%84%d8%b0%d8%a7%d8%aa-%d9%83%d9%86%d8%b2-%d9%85%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%ad%d9%83%d9%85%d8%a9-%d8%a7%d9%84/

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت". رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وابن حبان في صحيحه وزاد: فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا ذكر هاذم اللذات، يعني الموت، فإنه ما كان في كثير إلا قلله، ولا قليل إلا جزأه"، رواه الطبراني بإسناد حسن.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلس وهم يضحكون فقال: "أكثروا من ذكر هاذم اللذات"، أحسبه قال: "فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه، ولا في سعة إلا ضيقه عليه". رواه البزار بإسناد حسن والبيهقي باختصار. [125]

فهو عندما يتذكر الموت يرضى بحاله الذي هو عليه الآن. وجاء في بعض الروايات: (أنه ما ذكر في ضيق إلا وسعه، ولا ذكر في سعة إلا ضيقها)، فالإنسان إذا ضاقت عليه الدنيا بمرض أو بأي شيء من المكدرات فإنه حين يذكر الموت يقول: لا والله أنا في رحمة، فالموت أشد من ذلك؛ لأن الموت حين يأتي بكل ما فيه من سكرات وقبر وسؤال؛ فأنا مازلت في نعمة. والإنسان عند السعة وفي وقت الرخاء سيطغى عندما يرى كثرة أمواله، فإذا تذكر الموت فإنه يضيق عليه هذه السعة التي كادت أن تطغيه وأن تذهب بعقله. وهاذم اللذات بمعنى: قاطع

[125] ينظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: 656 هـ) ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر (تصوير/ دار إحياء التراث العربي – بيروت) الطبعة: الثالثة، 1388 هـ – 1968 م، 5/ 235 – 236.

اللذات، وهو الموت، فالموت يهذم لذة الإنسان يقطعها فإذا مات غيره فإذا به يتكدر، أما إذا مات هو فسيقدم على أهوال في قبره من سؤال منكر ونكير، وهل سيقدر على أن يجيب أم لا؟ فهنا يقول لنا صلى الله عليه وسلم: (أكثروا ذكر هاذم اللذات). [126]

عن أبي الدرداء أنه مر بين القبور فقال: بيوت ما أسكن ظواهرك وفي داخلك الدواهي.""

وعن أبي الدرداء قال: كفى بالموت واعظاً، وكفى بالدهر مفرقاً، اليوم في الدور وغداً في القبور.""

وفي مسند أبي سعيد أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى: الموت! فأكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول "أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود" فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر" مرحبا وأهلا! أما كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي! فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك" فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الجنة، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر "لا مرحبا ولا أهلا، أما كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي! فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك" فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه وتختلف أضلاعه، ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا، فينهشنه ويخدشنه حتى يقضى به إلى الحساب؛ إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.""

[126] ينظر: شرح رياض الصالحين، للشيخ الطبيب أحمد حطيبة مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 98 درسا]، 43 / 5.

وعن أبي سعيد قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مصلى فرأى ناسا يكثرون فقال: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات! فأكثروا ذكر هاذم اللذات." العسكري في الأمثال." [127]

وعن علي أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: "عباد الله! والله الموت ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، فالنجاة النجاة! والوحا الوحا! وراءكم طالب "حثيث" القبر! فاحذروا ضغطته وظلمته ووح شته ألا! وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، ألا! وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة أنا بيت الدود، أنا بيت الوحشة، ألا! وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وخازنها مالك، ليس لله فيه – وفي لفظ: فيها – رحمة، ألا! ووراء ذلك جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقين، جعلنا الله وإياكم من المتقين وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم". (الصابوني في المائتين)، وعن ابن مسعود قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله، فمن كانت راحته في لقاء الله فلكأن قد. [128]

المصادر:

_____

[127] ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ) المحقق: بكري حياني – صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م، 15/ 699 – 700.

[128] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، 15/ 701 – 702.

1-المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي (المتوفى: 975هـ) المحقق: بكري حياني – صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م.

2-المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (المتوفى: 656 هـ): "الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر (تصوير/ دار إحياء التراث العربي – بيروت) الطبعة: الثالثة، 1388 هـ – 1968 م.

3-حطيبة، الشيخ الطبيب أحمد، شرح رياض الصالحين، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 98 درسا].

المبحث الثامن

إحياء السنن: (1) [129]

من وسائل التوبة وغفران الذنوب:

كلنا يحتاج إلى تجديد التوبة والتطهر من أدران المعاصي والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بطلب المغفرة، ومن هذه الطرق الوضوء والصلاة ركعتين، والاستغفار. روي ذلك عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، قال: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني – وصدق أبو بكر – أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء، قال مسعر: ويصلي، وقال سفيان: ثم يصلي ركعتين، فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له [1] ."

سؤال العافية مقروناً بتوجيهات نبوية أخرى:

---

[129] نشرت في مدونة Islamic Wisdom بتاريخ 18 / 12 / 2015 م على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2015/12/18/%d8%a5%d8%ad%d9%8a%d8%a7%d8%a1-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%86%d9%86-1/

من الأمور المهمة التي نغفل عنها الصحة والعافية، ولا ندرك قيمتها وأهميتها إلا إذا تمرضنا عند ذلك ندرك قيمة ما فقدناه. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبهنا إلى ضرورة أن نسأل الله سبحانه العافية من أجل أن يزداد وعينا بقيمتها.

روى الإمام أحمد في مسنده عن أوسط، قال: خطبنا أبو بكر، فقال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام الأول، وبكى أبو بكر، فقال أبو بكر: سلوا الله المعافاة – أو قال: العافية – فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية – أو المعافاة – عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا إخوانا كما أمركم الله[2] .

ومما يلفت النظر في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل العافية في المنزلة والقيمة بعد اليقين، وقرنها مع توجيهات أخرى، مثل: الصدق، والبر، واجتناب الكذب، والحسد، والبغضاء، والقطيعة، والتدابر، ومنزلة الأخوة في الله.

السواك:

أحد السنن الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويكفي في قيمته وصف النبي عليه الصلاة والسلام له، فعن أبي بكر الصديق: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب [3] ."

من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أبي بكر الصديق، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال:" قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم [4] ."

فمن منا من لم يذنب، والحل في الإقبال على الله سبحانه بهذا الدعاء طلباً للمغفرة والعفو والصفح، فالله سبحانه هو الغفور الرحيم.

الهوامش:

_____

[1]أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ):" مسند الإمام أحمد بن حنبل" ، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ – 2001 م، 1/ 179، حديث (2) ، وقال محققو الكتاب عن الحديث:" إسناده صحيح."

[2]مسند الإمام أحمد، 1/ 184، حديث (5). وقال محققو المسند عن الحديث نفسه:" إسناده صحيح."

[3]نفسه، 1/ 186، حديث (7). وقال محققو المسند عن الحديث:" صحيح لغيره."

[4]نفسه، 1/ 187، حديث (8) ، وقال محققو المسند عن الحديث:" إسناده صحيح على شرط الشيخين."

الفصل السادس

ملاحق

الملحق الأول

لماذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم؟ [130]

ما أجمل أن ترى من تحب يبتسم فرحاً ويضحك ملء قلبه، فحين يضحك الحبيب تعيش ضحكته، لا بل ويدخل ضحكه السرور على قلبك، فما بالك إذا كان من يضحك حبيب القلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذن، لنعش هذا الموقف بقلوبنا وعقولنا ومشاعرنا وعواطفنا مع رسول الله صلى لله عليه وسلم، حين ضحك ذات يوم:

قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: حدثني النضر بن شميل المازني، قال: حدثني أبو نعامة، قال: حدثني أبو هنيدة البراء بن نوفل، عن والان العدوي، عن حذيفة عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة، ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه

---

[130] نشر في مدونة Islamic Wisdom بتاريخ 13/ 12/ 2015 م، على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2015/12/13/%d9%84%d9%85%d8%a7%d8%b0%d8%a7-%d8%b6%d8%ad%d9%83-%d8%b1%d8%b3%d9%88%d9%84-%d8%a7%d9%84%d9%84%d9%87-%d8%b5%d9%84%d9%89-%d8%a7%d9%84%d9%84%d9%87-%d8%b9%d9%84%d9%8a%d9%87-%d9%88%d8%b3%d9%84%d9%85-%d8%b0/

وسلم، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم، حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه؟ صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط، قال: فسأله، فقال: " نعم عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد، ففظع الناس بذلك، حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام، والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا: يا آدم، أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل، اشفع لنا إلى ربك، قال: قد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح: {إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين} [آل عمران: 33] ، قال: فينطلقون إلى نوح عليه السلام، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله، واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا، فيقول: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام، فإن الله عز وجل اتخذه خليلا، فينطلقون إلى إبراهيم، فيقول: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى موسى عليه السلام، فإن الله عز وجل كلمه تكليما، فيقول موسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم، فإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم، فإنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيشفع لكم إلى ربكم عز وجل.

قال: فينطلق، فيأتي جبريل عليه السلام ربه، فيقول الله عز وجل: ائذن له، وبشره بالجنة، قال: فينطلق به جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة، ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك يا محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه عز وجل، خر ساجدا قدر جمعة أخرى، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجدا، فيأخذ جبريل عليه السلام بضبعيه فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط، فيقول: أي رب، خلقتني سيد ولد آدم، ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر، حتى

إنه ليرد علي الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء ، قال: فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا، قال: فيدخلون الجنة.

قال: ثم يقول الله عز وجل: انظروا في النار: هل تلقون من أحد عمل خيرا قط؟ قال: فيجدون في النار رجلا، فيقول له: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله عز وجل: أسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي.

ثم يخرجون من النار رجلا فيقول له: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا، غير أني قد أمرت ولدي: إذا مت فأحرقوني بالنار، ثم اطحنوني، حتى إذا كنت مثل الكحل، فاذهبوا بي إلى البحر، فاذروني في الريح، فوالله لا يقدر علي رب العالمين أبدا، فقال الله عز وجل له: لم فعلت ذلك؟ قال: من مخافتك، قال: فيقول الله عز وجل: انظر إلى ملك أعظم ملك، فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال: فيقول: لم تسخر بي وأنت الملك؟ قال: وذاك الذي ضحكت منه من الضحى[1] ."

الهوامش:

_____

[1]ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل" ، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون،

إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ – 2001 م، 1/ 193 – 196. وقال محققو مسند الإمام أحمد:" إسناده حسن."

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الملحق الثاني

اللحظات الأخيرة للإنسان في هذا العالم

كما يصورها رسول الله صلى الله عليه وسلم [131]

لحظة الموت، هذه اللحظة الرهيبة التي مرت وتمر وستمر على كل إنسان بدون استثناء، في هذه اللحظة يمر الإنسان بموقفين: الأول، الوداع النهائي لهذا العالم بمن فيه وبما فيه، والثاني بدء الرحلة إلى العالم الآخر، حيث سيرتحل الإنسان متحملاً أمراً واحداً فقط عمله الذي قدمه في هذه الحياة الدنيا.

ومن أجل أن نستعد لهذه اللحظة لنتأمل في الوصف الآتي:

عن البراء بن عازب، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكث به في الأرض. فرفع رأسه، فقال: "استعيذوا بالله

---

[131] نشرت في مدونة Islamic Wisdom بتاريخ 1 / 11/ 2015 م، على الرابط الاتي https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2015/11/01/%d8%a7%d9%84%d9%84%d8%ad%d8%b8%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%a3%d8%ae%d9%8a%d8%b1%d8%a9-%d9%84%d9%84%d8%a5%d9%86%d8%b3%d8%a7%d9%86-%d9%81%d9%8a-%d9%87%d8%b0%d8%a7-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%a7%d9%84%d9%85/

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً". ثم قال: " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ويجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة: أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان". قال: " فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض. قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض [فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه] في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان [له]: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام؟ فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: رسول الله. فيقولان له: ما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة: أخرجي إلى

سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم { لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } [الأعراف: 40]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ثم تطرح روحه طرحاً". ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31]، " فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري [فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري] فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت فوجهك الذي يأتي بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة[1] ."

الهوامش:

_____

[1]ينظر تخريج الحديث عند: زكي الدين، عبدالعظيم المنذري: "الترغيب والترهيب" ، تحقيق محمد السيد، ط1، دار الفجر للتراث – القاهرة، 1421هـ، 4 / 280، محمد ناصر الدين الألباني: " صحيح الترغيب والترهيب للمنذري"، ط1، مكتبة المعارف، 1421 هـ، رقم (3558)، علي بن أبي بكر الهيثمي: " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد "، مؤسسة المعارف، 1406هـ، محمد بن إسحاق بن منده: " كتاب الإيمان"، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1427 هـ، ص 398.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث

حين التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقبيلة ربيعة [132]

---

[132] نشر في مدونة Islamic Wisdom بتاريخ 15/ 8/ 2015 م، على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2015/08/05/%d8%ad%d9%8a%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%82%d9%89-%d8%b1%d8%b3%d9%88%d9%84-%d8%a7%d9%84%d9%84%d9%87-%d8%b5%d9%84%d9%89-%d8%a7%d9%84%d9%84%d9%87-%d8%b9%d9%84%d9%8a%d9%87-%d9%88%d8%b3%d9%84%d9%85/

ونود أن نضيف هنا مصادر أخرى ذكرت القصة نفسها:

أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني"، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م، 1/ 282- 286.

محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): "السيرة النبوية وأخبار الخلفاء"، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1417 هـ، 1/ 93 وما بعد.

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): "دلائل النبوة"، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - 1408 هـ - 1988 م، 2/ 422.

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: 634هـ): "الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء"، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، 1/ 254.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذكر ابن كثير في كتابه:" البداية والنهاية" القصة الآتية عن قبيلة ربيعة حين التقت برسول الله صلى الله عليه وسلم نورد منها ما يأتي:

عن عليّ بنِ أبي طالبٍ قال لما أمر اللهُ رسولَه أن يعرِضَ نفسَه على قبائلِ العربِ خرج وأنا معه وأبو بكرٍ إلى مِنًى حتى دفَعْنا إلى مجلسٍ من مجالسِ العربِ.

فتقدَّم أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه فسلَّم، وكان أبو بكرٍ مُقدَّمًا في كلِّ خيرٍ، وكان رجلًا نَسَّابةً، فقال: مِمَّن القومُ؟ قالوا: من ربيعةَ. قال: وأيُّ ربيعةَ أنتم أمِن هامِها أم من لهازِمِها؟ قالوا: بل من هامِها العُظمى. قال أبو بكرٍ: فمِن أيِّ هامتِها العُظمى؟ فقالوا: ذُهَلُ الأكبرُ. قال لهم أبو بكرٍ: منكم عَوفٌ الذي كان يقالُ لا حُرَّ بوادي عَوفٍ؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطامُ بنُ قَيسٍ أبو اللواءِ ومُنتهى الأحياءِ؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحَوفزانُ بنُ شَريكٍ قاتِلُ الملوكِ وسالبُها أنفُسَها؟ قالوا: لا؟ قال: فمنكم جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ بنِ ذُهلٍ حامي الذِّمارِ، ومانعُ الجارِ؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المُزدِلفُ صاحبُ العمامةِ الفردةِ. قالوا: لا. قال: فأنتم أخوالُ الملوكِ من كِندةَ؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أصهارُ الملوكِ من لَخْمٍ؟ قالوا: لا. قال لهم أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه: فلستُم بذُهَلٍ الأكبرِ، بل أنتم ذُهَلُ الأصغرِ.

قال فوثب إليه منهم غلامٌ يُدعى دَغْفَلَ بنَ حنظلةَ الذُّهليّ حين بقَل وجهُه، فأخذ بزمامِ ناقةِ أبي بكرٍ وهو يقول: إنَّ على سائلِنا أن نسألَه والعبءُ لا نعرفُه أو نحملُه، يا هذا إنك سألْتَنا فأخبرناك، ولم نكتُمْك شيئًا ونحن نريد أن نسألَك، فمن أنت؟

قال: رجلٌ من قريشٍ. فقال الغلامُ بخٍ بخٍ أهلُ السُّؤدُدِ والرئاسةِ قادمةُ العربِ وهاديها. فمن أنتَ من قريشٍ؟ فقال له: رجلٌ من بني تَيْمِ بنِ مُرَّةَ. فقال: له الغلامُ أمكَنتَ واللهِ الرامي من سواءِ

الثَّغرَةِ، أفمنكم قُصيُّ بنُ كلابٍ الذي قتَل بمكةَ المُتغَلِّبين عليها، وأجلى بَقِيَّتهم وجمع قومَه من كلِّ أوبٍ حتى أوطنَهم مكةَ، ثم استولى على الدارِ، وأنزل قريشًا منازلَها، فسمَّته العربُ بذلك مُجَمِّعًا. وفيه يقول الشاعرُ: أليس أبوكم كان يُدعى مُجَمِّعًا / به جمع اللهُ القبائلَ من فِهرٍ؟ فقال أبو بكرٍ: لا. قال: فمنكم عبدُ مَنافٍ الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريفِ السادةُ؟ فقال أبو بكرٍ: لا. قال فمنكم عَمرو بنُ عبدِ مَنافٍ هاشمُ الذي هشم الثَّريدَ لقومِه ولأهلِ مكةَ؟ ففيه يقول الشاعرُ: عَمرو العُلا هشَم الثَّريدَ لقومِه ورجالُ مكةَ مُسنِتونَ عِجافُ سنُّوا إليه الرحلتَينِ كلَيهم عند الشتاءِ ورحلةِ الأصيافِ كانت قريشٌ بيضةً فتفلَّقتْ فالمُحُّ خالصةٌ لعبد منافِ الرايشينَ وليس يعرفُ رايِشٌ والقائلين هلُمَّ للأضيافِ والضاربين الكبشَ يبرقُ بيضُه والمانعين البيضَ بالأسيافِ لله درُّك لو نزلت بدارِهم منعوك من أزلٍ ومن إقرافٍ؟ فقال أبو بكرٍ: لا قال: فمنكم عبدُ المطلبِ شيبةُ الحمدِ، وصاحبُ عِيرِ مكةَ، ومُطعمُ طيرِ السماءِ، والوحوشُ والسباعُ في الفَلا الذي كأنَّ وجهه قمرٌ يتلأْلأُ في الليلةِ الظلماءِ؟ قال: لا. قال أفمن أهلِ الإفاضةِ أنت؟ قال: لا. قال: أفمِن أهلِ الحجابةِ أنت؟ قال لا قال: أفمِن أهلِ النَّدوةِ أنت؟ قال: لا. قال: أفمِن أهلِ السِّقايةِ أنت؟ قال: لا قال أفمِن أهلِ الرِّفادةِ أنت؟ قال: لا. قال: فمن المُفيضين أنت؟ قال: لا.

ثم جذب أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه زمامَ ناقتِه من يدِه، فقال له الغلامُ/ صادف دَرَّ السَّيلِ درٌّ يدفعه يهيضُه حينًا وحينًا يرفعُه. ثم قال: أما واللهِ يا أخا قريشٍ لو ثبت لخبرتُك أنك من زمعاتِ قريشٍ ولستَ من الذَّوائبِ.

قال فأقبل إلينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يتبسَّمُ. قال: عليٌّ. فقلتُ: له يا أبا بكرٍ لقد وقعتَ من الأعرابيِّ على باقعةٍ. فقال: أجلْ يا أبا الحسنِ. إنه ليس من طامَّةٍ إلا وفوقَها طامَّة. والبلاءُ مُوكَّلٌ بالقولِ، قال: ثم انتهينا إلى مجلسٍ عليه السَّكينةُ والوقارُ.

وإذا مشايخُ لهم أقدارٌ وهيئاتٌ، فتقدَّم أبو بكرٍ فسلَّم. قال: عليٌّ وكان أبو بكرٍ مُقدَّمًا في كلِّ خيرٍ. فقال لهم أبو بكرٍ: ممن القومُ؟ قالوا: من بني شيبانَ بنِ ثعلبةَ. فالتفت إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاءِ من عِزٍّ في قومِهم، وفي روايةٍ ليس وراء هؤلاءِ عُذرٌ من قومِهم، وهؤلاءِ غررٌ في قومِهم وهؤلاءِ غررُ الناسِ، وكان في القومِ مَفروقُ بنُ عَمرو، وهانئُ بنُ قبيصةَ، والمُثنَّى بنُ حارثةَ، والنُّعمانُ بنُ شَريكٍ، وكان أقربَ القومِ إلى أبي بكرٍ مفروقُ بنُ عَمرو، وكان مفروقُ بنُ عمرو قد غلب عليهم بيانًا ولسانًا، وكانت له غديرتانِ تسقطانِ على صدرِه، فكان أدنى القومِ مجلسًا من أبي بكرٍ. فقال له أبو بكرٍ. كيف العددُ فيكم؟ فقال: له إنا لنزيدُ على ألفٍ، ولن تُغلَبَ ألفٌ من قِلَّةٍ. فقال له: فكيف المنعةُ فيكم؟ فقال: علينا الجَهدُ ولكلِّ قومٍ جِدٌّ. فقال أبو بكرٍ: فكيف الحربُ بينكم وبين عدوِّكم. فقال: مفروقٌ إنا أشدُّ ما نكون لقاءً حين نغضبُ، وإنا لَنؤثرُ الجيادَ على الأولادِ والسلاحِ على اللِّقاحِ، والنصرُ من عندِ اللهِ يُديلُنا مرَّةً ويديلُ علينا، لعلك أخو قريشٍ. فقال أبو بكرٍ: إن كان بلغكم أنه رسولُ اللهِ فها هو هذا فقال مفروقٌ: قد بلغنا أنه يذكر ذلك.

ثم التفت إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فجلس وقام أبو بكرٍ يُظِلُّه بثوبه، فقال:" أدعوكم إلى شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأني رسولُ اللهِ، وأن تُؤووني وتَنصروني حتى أُؤَدِّيَ عن اللهِ الذي أمرني به، فإنَّ قريشًا قد تظاهرت على أمرِ اللهِ وكذَّبتْ رسولَه، واستغنت بالباطلِ عن الحقِّ، واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ". قال له: وإلى ما تدعو أيضًا يا أخا قريشٍ؟ فتلا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} إلى قوله: {ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 144 – 153]. فقال له مفروقٌ: وإلى ما تدعو أيضًا يا أخا قريشٍ، فو اللهِ ما هذا من كلامِ أهلِ الأرضِ، ولو كان من كلامِهم لعرَفناه؟ فتلا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى

وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]. فقال له مفروقٌ: دعوتَ واللهِ يا أخا قريشٍ إلى مكارمِ الأخلاقِ، ومحاسنِ الأعمالِ، ولقد أفِك قومٌ كذَّبوك، وظاهروا عليك. وكأنه أحبَّ أن يشركَه في الكلامِ هانئُ بنُ قبيصةَ، فقال: وهذا هانئُ بنُ قَبيصةَ شيخُنا وصاحبُ دِينِنا. فقال له هانئٌ: قد سمعتُ مقالتَك يا أخا قريشٍ، وصدَّقتُ قولَك، وإني أرى إنَّ تركَنا دينَنا، واتِّباعُنا إياك على دينِك لمجلسٌ جلستُه إلينا ليس له أولٌ ولا آخرٌ لم نتفكَّرْ في أمرِك وننظر في عاقبةِ ما تدعو إليه زِلَّةٌ في الرأيِ، وطَيشةٌ في العقلِ، وقلةُ نظرٍ في العاقبةِ، وإنما تكون الزِّلَّةُ مع العجلَةِ، وإنَّ من ورائِنا قومًا نكره أن نعقدَ عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجعُ، وتنظر وننظرُ. وكأنه أحبَّ أن يُشركَه في الكلامِ المُثنَّى بنُ حارثةَ. فقال: وهذا المُثنَّى شيخُنا وصاحبُ حربِنا. فقال المُثنَّى: قد سمعتُ مقالتَك واستحسنتُ قولَك يا أخا قريشٍ، وأعجبَني ما تكلمتَ به. والجوابُ: هو جوابُ هانئِ بنِ قبيصةَ، وتركُنا دينَنا واتِّباعُنا إياك لِمجلسٍ جلستَه إلينا، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْنِ: أحدُهما اليمامةُ والآخرُ السماوةُ. فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "وما هذان الصَّريَّانِ". فقال له: أما أحدُهما فطفوفُ البَرِّ، وأرضُ العربِ، وأما الآخرُ فأرضُ فارسٍ، وأنهارُ كِسرى. وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كِسرى أن لا نُحدِثَ حدَثًا، ولا نُؤوي مُحدِثًا، ولعلَّ هذا الأمرَ الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوكُ. فأما ما كان مما يلي بلادَ العربِ فذنبُ صاحبِه مغفورٌ، وعُذرُه مقبولٌ، وأما ما كان يلي بلادَ فارسٍ فذنبُ صاحبِه غيرُ مغفورٍ، وعذرُه غيرُ مقبولٍ، فان أردت أن ننصرَك، ونمنعَك مما يلي العربَ فعلنا؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:" ما أسأْتُم الردَّ إذ أفصحتُم بالصِّدقِ، إنه لا يقوم بدينِ اللهِ إلا من حاطه من جميعِ جوانبِه". ثم قال رسولُ الله:" أرأيتُم إن لم تلبثوا إلا يسيرًا حتى يمنحَكم اللهُ بلادَهم وأموالَهم، ويفرشُكم بناتِهم أَتُسبِّحون اللهَ وتُقدِّسونه؟" فقال له النعمانُ بنُ شَريكٍ: اللهمَّ وإنَّ ذلك لك يا أخا قريشٍ؟ فتلا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46)}

[الأحزاب: 45 – 46]. ثم نهض رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قابضًا على يدَي أبي بكرٍ. قال عليٌّ: ثم التفت إلينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال:" يا عليُّ أيَّةُ أخلاقٍ للعربِ كانت في الجاهليةِ! ما أشرفَها؟! بها يتحاجَزون في الحياةِ الدنيا". قال: ثم دفَعْنا إلى مجلسِ الأوسِ والخزرجِ فما نهضْنا حتى بايعوا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال عليٌّ وكانوا صُدَقاءَ صُبَراءَ فَسُرَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ من معرفةِ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنه بأنسابِهم."...

الهوامش:

_____

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ):" البداية والنهاية"، دار الفكر، 1407 هـ – 1986 م، 3 / 142 وما بعدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الملحق الرابع

المنبجي في كتابه تسلية أهل المصائب" [133]

تقديم

تمر في حياة الإنسان سلسلة من المصاعب والشدائد والابتلاءات، وهي جزء من نظام الاختبار الذي أعده الله سبحانه لعباده في هذه الحياة الدنيا ليبتليهم ويختبرهم؛ قال تعالى: ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: 1 – 5].

ولقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه مَثَلَ ذلك الإنسان، الذي إذا أصابته مصيبة انقلب على وجهه؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ [الحج: 11 – 13].[1]

---

[133] نشر في شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2016/1/21 ميلادي – 1437/4/10 هجري، على الرابط الاتي: https://www.alukah.net/culture/0/97787/

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولم يترك ديننا الحنيف ظاهرةَ المصائب بدون معالجة؛ فلقد ورد ذكر المصيبة وعلاجها في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما سيأتي

المبحث الأول

علم المصيبة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولًا: علم المصيبة في القرآن الكريم:

ورد ذكر المصيبة في كتاب الله سبحانه، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففيما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

1 -﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156].

2 -﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165].

3 -﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: 62].

4 -﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 72].

5 -﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ [المائدة: 106].

6 -﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: 50].

7 -﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 47].

8 -﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].

9 -﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22].

10 -﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

ثانيًا: علم المصيبة في السنة النبوية:

عن عروة بن الزبير: أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها)).[2]

وعن أم سلمة أنها قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((ما من مسلم تصيبه مصيبةٌ، فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها))، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: أرسل إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتًا وأنا غيورٌ، فقال: ((أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة)).[3]

المبحث الثاني:

المنبجي في كتابه: "تسلية أهل المصائب"

ومن الكتب المهمة في هذا الباب كتاب المنبجي (ت 785 هـ) محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، الموسوم: "تسلية أهل المصائب"، قال الزركلي في ترجمته: "متصوف حنبلي، أصله من منبج، سكن الصالحية بدمشق.[4]"

أولًا: عرض أبواب الكتاب:[5]

قسم المؤلف على ثلاثين بابًا، منها:

الباب الأول – في المصيبة وحقيقتها وما أعد الله لمسترجعها، وفيه: فصل – في كلمة ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾، فصل – في تسلية أهل المصائب بالعلاج الإلهي والنبوي، فصل: في النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، فصل – في أن مرارة الدنيا هي حلاوة في الآخرة، فصل: في الاستعانة بالله والاتكال عليه والعزاء بعزائه، فصل – ومن أعظم المصائب المصيبة في الدين، فصل – في البشارة لمن تذكر المصيبة فاسترجع، فصل – في الفرق بين تمتع الدنيا الفاني والآخرة الباقي، فصل – في أن يوطن الإنسان نفسه على توقع المصائب، وأنها بقضاء الله وقدره، فصل – في ألا ننكر وقوع المصائب في الدنيا بجميع أنواعها، فصل – في المصائب المختصة

بذات الإنسان، فصل – في أن المصائب والمحن دواء للكِبْر والعُجْب، فصل – في اعتراض المصاب على الأقدار ودلالته بعبادته، فصل – في أن الأفضل إبدال الشكوى والأنين بذكر الله تعالى، فصل – في أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها، فصل – في أن من سلم أمره في مصيبته واحتسب لله عوضه خيرًا منها، فصل – فيمن طلب المصائب وفرح بها رجاء ثوابها.

الباب الثاني – في البكاء على المصيبة وما ذكر العلماء في ذلك، الباب الثالث وفيه: فصل – في أن البكاء لا ينفع الميت، بل ينفعه العمل الصالح، الباب الرابع – فيمن أصيب بفقد ثلاثة من الولد فأكثر، والبِشارة له بذلك.

الباب الخامس: فيمن أصيب بفقد ولدين، والأحاديث الواردة فيه، الباب السادس – فيمن أصيب بفقد ولد واحد، الباب السابع: في ذكر السقط وثوابه، الباب التاسع: فيمن مات له طفل رضيع أنه يكمل رضاعه في الجنة، فصل – في شفاعة الأطفال الرضَّع لوالديهم، الباب العاشر: في أنه يصلى على كل مولود مسلم ويدعى لوالديه، الباب الحادي عشر: في استحباب اصطناع الطعام لأهل المصيبة، الباب الثاني عشر: في الذبح عند القبور وكراهة صنع الطعام من أهل المصيبة، الباب الثالث عشر: في الثناء الحسن على الميت، وذكر محاسنه، والسكوت عن مساويه، فصل: بشارة للمؤمن بعمله الصالح، فصل: في الكف عن ذكر مساوي الأموات، الباب الرابع عشر: في فرح العبد وتسليته بكونه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الباب الخامس عشر: في استحباب التعزية لأهل المصيبة والدعاء لميتهم، الباب السادس عشر: في وجوب الصبر على المصيبة، الباب السابع عشر: فيما ورد بالصبر على المصيبة، فصل – في كلام السلف في الصبر، الباب الثامن عشر: في أن الشخص لا يستغني عن الصبر لا في المصيبة ولا في غيرها، فصل: في الحالات التي يحتاج فيها العبد إلى الصبر، فصل: في مشقة الصبر

على السراء أيضًا، فصل – في التحذير من فتنة المال والأزواج والأولاد، الباب التاسع عشر: في أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس، فصل: في عقوبة من لم يصبر مع تمكنه من الصبر، فصل: في علامات الصبر ورضا النفس عن قضاء الله تعالى، الباب العشرون: في الرضا بالمصيبة، فصل: في أقوال السلف والخلف في الرضا، فصل – فيما سَنَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأهل المصيبة وما نهى عنه، فصل – في تحقيق الرضا وأنه من عمل القلب، الباب الحادي والعشرون: فيما يقدح في الصبر والرضا وينافيهما، فصل: في أن شق الثياب ينافي الصبر والرضا، فصل: في البكاء والحزن الصامت لا ينافي الرضا والصبر، فصل – في أن من يَبتلي بالمصائب هو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، فصل – في أن الشكوى والتحدث بالمصيبة ينافي الصبر والرضا، فصل – في أن الله تبارك وتعالى يختبر عباده بالمصائب، الباب الثاني والعشرون: هل المصائب مكفِّرات أم مُثِيبات؟! فصل – في سياق كلام ابن تيمية، فصل – في قوله أيضًا رحمه الله في أن المصائب نعمة من نعم الله تعالى، الباب الثالث والعشرون: في الصدقة عن المصاب به وأفعال البر عنه، الباب الرابع والعشرون: في ذكر عمارة القبور، الباب الخامس والعشرون: في أن الله يثبِّتُ الذين آمنوا عند المسألة، فصل – في أن النار والخضرة في القبر ليست كمثلها في الدنيا، فصل – في البرزخ والبحث في ماهيته، فصل: في عرض أعمال الأحياء على أقاربهم الأموات، فصل – في تلقين الصغار، وما قيل في التلقين عمومًا، فصل – في حياة الميت في قبره، والخلاف في ذلك، الباب السادس والعشرون – في اجتماع الأرواح وهيئاتها، وأين محلها، والخلاف في ذلك، فصل: فيما جاء في أرواح الشهداء وغيرهم وأمكنتها، الباب السابع والعشرون: في عد الشهداء وفضلهم وأنهم أرفع درجات من الصالحين، الباب الثامن والعشرون: في ذكر الصراط، ودرجات الناس في المرور عليه، فصل – في المرور على الصراط، الباب التاسع والعشرون: في ذكر سَعة رحمة الله ومن مات على

التوحيد، فصل – في رحمته وسعت كل شيء، فصل – في أن من مات موحدًا داخل الجنة، الباب الثلاثون: في فضل الزهد في الدنيا والتسلية عنها والرغبة في الآخرة، فصل – في العجب ممن يسعى لدار الغرور، فصل – في أن شرور الدنيا كأحلام نوم، فصل – في اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا، فصل – في أن الدنيا دار ممر، فصل – في أن هذه الدار رحلة.

في مفهوم المصيبة:

حدد المنبجي في الباب الأول – في المصيبة وحقيقتها وما أعد الله لمسترجعها؛ قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: 11]، قال علقمة وجماعة من المفسرين: هي المصائب تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم؛ قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 156، 157] [6] .

ونقل المنبجي ما في الصحيحين عن عروة، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عز وجل بها عنه، حتى الشوكة يشاكها))، روى عكرمة مرسلًا: أن مصباح النبي صلى الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، فقيل: أمصيبة هي يا رسول الله؟ قال: ((نعم؛ كل ما آذى فهو مصيبة)).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة – رضي الله عنهما –: أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما يصيب المؤمن من وصَب ولا نصَب، ولا سقم ولا حزن، حتى الهم يهمه، إلا كفر الله به من سيئاته))، والوصَب: المرض – والنصَب: التعب.

ونقل المنبجي ما رواه الإمام أحمد عن المطلب، عن أم سلمة، قالت: أتاني أبو سلمة يومًا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولًا سررت به، قال: ((لا تصيب أحدًا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا فعل ذلك به))، قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت في مصيبتي وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منه – وفي لفظ: خيرًا منها – ثم رجعت إلى نفسي وقلت: من أين خير لي من أبي سلمة؟ فلما انقضت عدتي، استأذن عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أدبغ إهابًا لي، فغسلت يدي من القرظ وأذنت له، فوضعت له وسادة من أدم حشوها ليف، فقعد عليها، فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، ما بي ألا تكون بك الرغبة، ولكني امرأة في غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئًا يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن، وأنا ذات عيال، فقال: ((أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل ما أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي))، قالت: فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتزوجها رسول الله، فقالت أم سلمة بعدُ: أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه: رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.[7]

في العلاج الإلهي والنبوي للمصائب:

فصل – في تسلية أهل المصائب بالعلاج الإلهي والنبوي؛ فالإلهي: قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: 155، 156]، وآيات الصبر كثيرة جدًّا، والنبوي: قوله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول

ما أمره الله به: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: 156]، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف الله له خيرًا منها))، وقد تقدم، وأمثال ذلك من الأحاديث، وقد تضمنت هذه الكلمة: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: 156] علاجًا من الله ورسوله لأهل المصائب فإنها من أبلغ علاج المصائب، وأنفعه للعبد في عاجله وآجله، فإنها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما وتسلى عن مصيبته، أحد الأصلين: أن يتحقق العبد أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل حقيقةً، وقد جعله الله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير، وأيضًا: فإنه محفوف بعدَمينِ؛ عَدمٍ قَبْله وعدَمٍ بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضًا: فإنه ليس هو الذي أوجده من عدم، حتى يكون ملكه حقيقةً، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي، وأيضًا فإنه متصرف فيه بالأمر، تصرف العبد المأمور المنهي، لا تصرف الملاك؛ ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي، والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويأتي ربه يوم القيامة فردًا، كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوَّله، ونهايته وحاله فيه، فكيف يفرح العبد بولد أو مال أو غير ذلك من متاع الدنيا؟، أم كيف يأسى على مفقود؟ ففكرة العبد في بدايته ونهايته من أعظم علاج المصائب، ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فإذا علم المصاب أنه لو فتش العالم، لم ير فيهم إلا مبتلى؛ إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، فسرور الدنيا أحلام نوم، أو كظل زائل، إن أضحكت قليلًا أبكت كثيرًا، وإن سرَّت يومًا ساءت دهرًا، وإن متعت قليلًا منعت طويلًا، وما ملأت دارًا حبرةً إلا ملأتها عبرةً، وما حصلت للشخص في يوم سرورًا، إلا خبأت له في يوم شرورًا.[8]

في كلمة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]:

وقد جعل الله كلمات الاسترجاع – وهي قول المصاب: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: 156] – ملجأً وملاذًا لذوي المصائب، وعصمة للممتحَنين من الشيطان؛ لئلا يتسلط على المصاب، فيوسوس له بالأفكار الرديئة، فيهيج ما سكن، ويظهر ما كمن، فإذا لجأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة، فإن قوله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 156] توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقوله: ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: 156] إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا؛ فهو إيمان بالبعث بعد الموت، وهو إيمان أيضًا بأن له الحكم في الأولى، وله المرجع في الأخرى، فهو من اليقين، إن الأمر كله لله؛ فلا ملجأ منه إلا إليه.[9]

في النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله:

ومن تسلية أهل المصائب: أن ينظر المصاب في كتاب الله وسنة رسول الله، فيجد أن الله تعالى أعطى لمن صبر ورضِيَ ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي، ومن الأمور النافعة للمصاب: أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل قرية ومدينة، بل في كل بيت، مَن أصيب، فمنهم من أصيب مرةً، ومنهم من أصيب مرارًا، وليس ذلك بمنقطع حتى يأتي على جميع أهل البيت، حتى نفس المصاب، فيصاب، أسوة بأمثاله ممن تقدمه، فإنه إن نظر يمنةً فلا يرى إلا محنةً، وإن نظر يسرةً فلا يرى إلا حسرةً.[10]

في الاستعانة بالله والاتكال عليه والعزاء بعزائه سبحانه:

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله، ويتكلوا عليه، ويتعزَّوْا بعزاء الله تعالى، ويمتثلوا أمره في الاستعانة بالصبر والصلاة، ويعلموا أن الله مع الصابرين، ويطلبوا استنجاز ما وعد الله به عباده على الصبر.[11]

في أن الأفضل إبدال الشكوى والأنين بذكر الله تعالى:

ينبغي للمصاب بنفسه، أو بولده، أو بغيرهما: أن يجعل في المرض مكان الأنين ذِكرَه الله تعالى، والاستغفار والتعبد، وهي وإن كان فيها راحة، إلا أنها تدل على ضعف وخَوَر، والصبر عنها دليل قوة وعز، وهي إشاعة سر الله تعالى عند العبد، كما أن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يكرهون الشكوى إلى الخلق، وهي تأثر شماتة الأعداء ورحمة الأصدقاء، إن الأعمال بخواتيمها؛ فإنه ربما أضله في اعتقاده، وربما حيل بينه وبين التوبة، وغير ذلك مما هو محتاج إليه، وربما وقع منه الاعتراض على القضاء والقدر، فينبغي للمصاب بنفسه أو بغيره، أن يعلم أو يعلم بغيره، أنها صبر ساعة، فيتجلد ويحارب الشيطان جهد طاقته، فبصدقه تحصل له عليه الإعانة من الله، ويعلم أيضًا أن التشديد عليه أو على غيره في النزع هو في الغالب من كرامة العبد على الله عز وجل؛ فإن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل.[12]

في أن هذه الدار رحلة:

لنعلم أن هذه الدار رحلة، فجمع للسفر رحلة، ويعلم أن مبدأ السفر من ظهور الآباء إلى بطن الأمهات، ثم إلى الدنيا، ثم إلى القبر، ثم إلى الحشر، ثم إلى دار الإقامة الأبدية، فدار الإقامة هي دار السلام من جميع الآفات، وهي دار الخلود، والعدو سبانا إلى دار الدنيا، فنجتهد

في فكاك أسرنا، ثم في حث السير إلى الوصول إلى دارنا الأولى، وليعلم أن مقدار السير في الدنيا يسير ويقطع بالأنفاس، ويسير بالإنسان سير السفينة لا يحس بسيرها وهو جالس فيها، لا بد له في سفره من زاد، ولا زاد إلى الآخرة إلا التقوى، فلا بد من تعب الشخص، والتصبر على مرارة التقوى، فليتنبه الغافل من كسل مسيره؛ فإن الله تعالى يريه في قطع مسافة سفره آيات يرسلها تخويفًا لعباده؛ لئلا يميلوا عن طريقهم المستقيم، ونهجهم القويم، فمن مالت به راحلته عن طريق الاستقامة، فرأى ما يخاف منه، فليرغب إلى الله بالرجوع إليه عما ارتكبه من السبل، فيتوب من معصيته، ويبكي من قسوته، فإذا انتبه من رقدة كسله، علم أن الدنيا دار غرور طبعت على كدر.[13]

الهوامش:

---

[1]ينظر في تفسير الآيات: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت – 1419 هـ، 5/ 352.

[2]محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر،

ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي) ، 1422هـ، 7 / 114، حديث.(5640)

[3]مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2/ 631، حديث.(918)

[4]خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ): "الأعلام"، ط ط15، دار العلم للملايين، – أيار/ مايو 2002 م، 7/ 41.

[5]ينظر: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (المتوفى: 785هـ): "تسلية أهل المصائب"، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1426 هـ – 2005 م (فهرس الكتاب).

[6]المنبجي: "تسلية أهل المصائب"، ص 9.

[7]المنبجي: "تسلية أهل المصائب"، ص 10، وينظر في حديث أم سلمة: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ – 2001 م، 44 / 247، حديث (26635) ، و44/ 268 – 269، حديث.(26669)

[8]المنبجي، ص 13، 14، 15.

[9]المنبجي: "تسلية أهل المصائب"، ص 11.

[10]المنبجي: "تسلية أهل المصائب"، ص 14.

[11]المنبجي: "تسلية أهل المصائب"، ص 16.

[12]المنبجي: "تسلية أهل المصائب"، ص 27.

[13]المنبجي: "تسلية أهل المصائب"، ص 247.

الملحق الخامس

نقد ابن الجوزي

لكتاب: " حلية الأولياء" لأبي نعيم [134]

يزخر التراثُ الإسلاميُّ بمنهجية علمية واضحة تُعدُّ معلمًا بارزًا مِن مَعالِم التأليف العلمي في التراث المذكور، ومن أجل الكشف عن طبيعة المنهج العلمي في التراث الإسلامي تكشف هذه المقالةُ عن منهجية اثنين من العلماء المسلمين، وهما: أبو نعيم الأصبهاني في كتابه: "حلية الأولياء"، والنقد الذي وجَّهَهُ له ابنُ الجوزي في كتابه: "صفة الصفوة."

منهج كتاب: "حلية الأولياء"؛ لأبي نعيم موجزًا:

يُبين أبو نعيم في مقدمة كتابه: "حلية الأولياء" أنه قصد من تأليفه ذكر أعلام "المُتحقِّقين وترتيب طبقاتهم من النُّسَّاك ومَحجَّتهم، مِن قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرَف الأدلة والحقائق، وباشر الأحوال والطرائق، وساكَن الرياض والحدائق، وفارَق العوارض والعلائق، وتبَرَّأ من المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوي مِن المُتسوِّفين من الكسالى والمتثبطين المتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفِعال، وذلك لما بَلَغك

---

[134] نشر في الألوكة، تاريخ الإضافة: 2016/11/14 ميلادي - 1438/2/13 هجري، على الرابط الاتي:
https://www.alukah.net/culture/0/109484/

مِن بَسْط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل القُطر والأمصار في المُنتسبين إليهم مِن الفَسَقَة والفُجَّار، والمُباحيَّة والحَلُولية، وليس ما حَلَّ بالكذبة مِن الوقيعة والإنكار، بقادحٍ في منقبة البَرَرة الأخيار، وواضعٍ مِن درجة الصفوة الأبرار، بل في إظهار البراءة مِن الكذابين والنكير على الخونة البطالين نزاهةً للصادقين ورفعةً للمتحققين، ولو لم نكشفْ مِن مخازي المبطلين ومساويهم ديانةً، لَلَزمَنا إبانتها وإشاعتها حمايةً وصيانةً، إذ للأسلاف في العلم المنشور، والصيتُ والذِّكْر المشهور."

وقد درس أبو نعيم في كتابه المهاجرين من الصحابة، وأهل الصفة، والنساء الصحابيات والتابعين، وجمهورًا من النُّسَّاك والمتعبدين.[1]

ملاحظات ابن الجوزي النقدية على كتاب: "حلية الأولياء"؛ لأبي نعيم:

سجَّل ابن الجوزي في مقدمة كتابه: "صفة الصفوة" الملاحظات الآتية على كتاب "حلية الأولياء" لأبي نعيم:

الأول: أن هذا الكتاب إنما وُضِع لذِكْر أخبار الأخيار، وإنما يُراد مِن ذكرهم شرْح أحوالهم وأخلاقهم ليقتدي بها السالكُ، فقد ذكر فيه أسماء جماعة ثم لم ينقل عنهم شيئًا من ذلك، ذكر عنهم ما يروونه عن غيرهم أو ما يسندونه مِن الحديث، كما ملأ ترجمة هشام بن حسان بما يروى عن الحسن، وتلك الحكايات ينبغي أن تدخل في ترجمة الحسن لا في ترجمة هشام، وكذلك ملأ ترجمة جعفر بن سليمان بما يُروى عن مالك بن دينار ونظرائه، ولم يذكُرْ له عنه شيئًا.

والثاني: أنه قصد ما ينقل عن الرجل المذكور، ولم ينظر هل يليق بالكتاب أم لا، مثل ترجمة عكرمة بقطعة من تفسيره، وترجمة كعب الأحبار بقطعة مِن التوراة، وليس هذا بموضع هذه الأشياء.

والثالث: أنه أعاد أخبارًا كثيرة مثل ما ذكر في ترجمة الحسن البصري مِن كلامه، ثم أعاده في تراجم أصحابه الذين يروون كلامه، وذكر في ترجمة أبي سليمان الداراني من كلامه، وأعاده في ترجمة أحمد بن أبي الحواري بروايته عن أبي سليمان.[2]

والرابع: أنه ذكر في كتابه أحاديث كثيرةً باطلة وموضوعة، فقصد بذكرها تكثيرَ حديثه، وتنفيق رواياته، ولم يبينْ أنها موضوعة، ومعلوم أن جمهور المائلين إلى التبرُّر يخفى عليهم الصحيح مِن غيره، فَسَتْرُ ذلك عنهم غشٌّ من الطبيب لا نُصح.

والخامس: إضافة التصوف إلى كبار السادات؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن وشُريح وسفيان وشعبة ومالك والشافعي وأحمد، وليس عند هؤلاء القوم خَبَر مِن التصوف.

والسادس: أنه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة التي يرويها الشخص الواحد، فينسى ما وُضع له ذِكر الرجل من بيان آدابه وأخلاقه، كما ذكر شُعبة وسفيان ومالكًا وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وغيرهم، فإنه ذكر عن كل واحد من هؤلاء من الأحاديث التي يرويها مرفوعة جملة كثيرة، ومعلوم أن مثل كتابه الذي يقصد به مداواة القلوب إنما وُضع لبيان أخلاق القوم لا الأحاديث، ولكل مقام مقال.

ثم لو كانت الأحاديث التي ذكرها من أحاديث الزهد اللائقة بالكتاب لَقَرُبَ الأمر، ولكنها مِن كل فن، وعمومها من أحاديث الأحكام والضعاف، أو لو كان اقتصر على الغريب من روايات المكثرين، أو ذكر ما يرويه المُقِلّون كما روي عن الجنيد أنه لم يُسنِد إلا حديثًا واحدًا لكان ذِكْرُ مثلِ هذا حسنًا، لكنه أمعن فيما لا يتعلق ذكره بالكتاب.

والسابع: السجع البارد في التراجم، الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح.[3]

والثامن: أنه ذكر أشياء لا يجوز فعلها، فربما سمعها المبتدئ القليل العِلم فظنها حسنةً فاحتذاها، مثل ما روي عن أبي حمزة الصوفي: أنه وقع في بئر فجاء رجلان فَطمَّاها، فلم ينطق حملًا لنفسه على التوكل بزعمه، وسكوت هذا الرجل في مثل هذا المقام إعانة على نفسه وذلك لا يحل! ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافي استغاثته في تلك الحال، كما لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوكل بإخفائه الخروج من مكة واستئجاره دليلًا واستكتامه، واستكفائه ذلك الأمر واستتار في الغار، وقوله لسُراقة: "أخفِ عنا."

فالتوكل الممدوح لا يُنال بفعل محذور، وسكوت هذا الواقع في البئر محظور عليه، وبيان ذلك أن الله عز وجل قد خلق للآدمي آلةً يدافع بها عن نفسه الضرر، وآلة يجتلب بها النفع، فإذا عطَّلَها مدعيًا للتوكل كان جهلًا بالتوكل، وردًّا لحكمة الواضع؛ لأنَّ التوكل إنما هو اعتماد القلب على الله سبحانه، وليس من ضرورته قطع الأسباب، ولو أن إنسانًا جاع فلم يأكل، أو احتاج فلم يسأل، أو عري فلم يلبس، فمات دخل النار؛ لأنه قد دُلَّ على طريق السلامة، فإذا تقاعد عنها هان على نفسه.

والتاسع: أنه خلط في ترتيب القوم، فقدَّم مَن ينبغي أن يُؤخر، وأخَّر من ينبغي أن يُقدَّم، فعل ذلك في الصحابة وفيمن بعدهم، فلا هو ذكرهم على ترتيب الفضائل، ولا على ترتيب المواليد، ولا جمع أهل كل بلد في مكان، وربما فعل هذا في وقتٍ ثم عاد فخلط، خصوصًا في أواخر الكتاب، فلا يكاد طالب الرجل يهتدي إلى موضعه، ومَن طالع كتاب هذا الرجل ممن له أُنس بالنقل انكشف له ما أشرتُ إليه.

والعاشر: أنه حكى في كتابه عن بعض المذكورين كلامًا أطال به لا طائل فيه، تارةً لا يكون في ذلك الكلام معنى صحيح؛ كجمهورِ ما ذَكر عن الحارث المحاسبي وأحمد بن عاصم،

وتارة يكون ذلك الكلام غير اللائق بالكتاب، وهذا خلل في صناعة التصنيف، وإنما ينبغي للمصنف أن ينتقي فيتوقى ولا يكون كحاطب ليل، فالنِّطاف العِذاب تروي لا البحر.[4]

منهجية ابن الجوزي في كتابه: "صفة الصفوة:"

ثم يتجه ابنُ الجوزي إلى بيان منهجه في كتابه، فيَذكر أنه لما كان المقصودُ بوضع مثل هذا الكتاب ذِكْر أخبار العاملين بالعمل، الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، المستعدين للنقلة بتحقيق اليقظة والتزود الصالح، فإنه ذكر مَن هذه حاله دون مَن اشتهر بمجرد العلم ولم يشتهر بالزهد والتعبد، ولما سمى كتابه هذا: "صفة الصفوة"، رأى أن يفتتحه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه صفوة الخلق وقدوة العالم، فإن قال قائل: فهلاّ ذكرت الأنبياء قبله، فإنهم صفوة أيضًا؟

فالجواب: إن كتاب "صفوة الصفوة" إنما وُضع لمُداواة القلوب وترقيقها وإصلاحها، وإنما نُقل إلينا أخبار آحاد مِن الأنبياء، ثم لم يُنقل في أخبار أولئك الآحاد ما يناسب كتاب ابن الجوزي، كما يذكر أو عن عيسى عليه السلام وأصحابه ما يقتضيه الترهبن، وذلك منقسم إلى ما تبعد صحته، وإلى ما نهى عنه في شرعنا، وقد ثبت أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء، فلذلك اقتصر ابن الجوزي على ذكره وذكر أمته، وابتدأ بذكر فضل الأولياء الصالحين، ثم أردفه بذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشرح أحواله وآدابه وما يتعلق به، ثم ذكر المشتهرين من أصحابه بالعلم المقترن بالزهد والتعبد، وأتى بهم على طبقاتهم في الفضل ثم ذكر المصطفيات من الصحابيات على ذلك القانون، ثم ذكر التابعين ومَن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم، ويذكر أنه طاف الأرض بفكره شرقًا وغربًا، واستخرج كل من يصلح ذكره في هذا الكتاب من جميع البقاع، ورب بلدة عظيمة لم يرَ فيها من يصلح لكتابه.[5]

وقد حصر أهل كل بلدة فيها وترتيبهم على طبقاتهم؛ مبتدئًا بمن يُعرف اسمه من الرجال، ثم ذكر بعد ذلك من لم يُعرف اسمه، فإذا انتهى ذكر عابدات ذلك البلد على ذلك القانون، وربما كان في أهل البلد من عقلاء المجانين من يصلح ذكره من الرجال والنساء فيذكره.

وإنما ضبط ابن الجوزي هذا الترتيب تسهيلًا للطلب على الطالب، ولما لم يكن بدٌّ مِن مركز يكون كنقطة للدائرة، رأى أن المركز وهو بغداد أولى مِن غيره، إلا أنه لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفهما، بدأ بالمدينة لأنها دار الهجرة، ثم ثنى بمكة، ثم ذكر الطائف لقربها من مكة، ثم اليمن، وعاد إلى المركز بغداد، فذكر المصطَفين منها، ثم انحدر إلى المدائن، ونزل إلى واسط، ثم إلى البصرة، ثم إلى الأُبُلَّة، ثم عَبّادان، ثم تُستَر، ثم شيراز، ثم كَرْمان، ثم أَرَّجَان، ثم سَجِسْتان، ثم دَيْبُل، ثم البحرين، ثم اليمامة، ثم الدِّينَور، ثم همذان، ثم قَزوين، ثم أصبهان، ثم الرّي، ثم دامغان، ثم بِسطام، ثم نَيسابور، ثم طُوس، ثم هراة، ثم مَرْو، ثم بَلْخ، ثم تِرمِذ، ثم بخارى، ثم فرغانة، ثم نَخْشَب، ثم ذكر عبَّاد المشرق المجهولين البلاد والأسماء، فلما انتهى ذكر أهل المشرق عاد إلى المركز بغداد، وارتقى منه إلى المغرب، وقد ذكر أهل عُكْبَرَا، ثم الموصل، ثم البرقةِ، ثم طبقات أهل الشام، ثم المَقْدِسيين، ثم أهل جبلة، ثم أهل العواصم والثغور، ثم مَن لم يعرف بلده من عبّاد أهل الشام، ثم عسقلان، ثم مصر، ثم الإسكندرية، ثم المغرب، ثم عبَّاد الجبال، ثم عبَّاد الجزائر، ثم عبَّاد السواحل، ثم أهل البوادي والفلوات، ثم مَن لم نعرف له مستقرًّا مِن العباد، وإنما لُقي في طريق: فمنهم من لقي في مكة، ومنهم من لُقي بعرفة، ومنهم مَن لُقي في الطواف، ومنهم مَن لُقي في طريق سفر أو طريق سياحة.

ثم ذكر من لم يُعرف له اسم ولا مكان من العباد، ثم ذكر طرفًا من أخبار بنيات صغار تكلَّمن بكلام العابدات الكبار، ثم ذكر طرفًا من أخبار عبَّاد الجن، فختم بذلك الكتاب، والله الموفق.[6]

الهوامش:

---

[1]أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، 1 / 4.

[2]جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): "صفة الصفوة"، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة:1421هـ/2000م، 1 / 9 - 10.

[3]ابن الجوزي: "صفة الصفوة"، 1 / 10 - 11.

[4]ابن الجوزي: "صفة الصفوة"، 1 / 11- 12.

[5]ابن الجوزي: "صفة الصفوة"، 1 / 13 - 14.

[6]ابن الجوزي: "صفة الصفوة" 1 / 14.

خاتمة الكتاب

علم الحكمة النبوية مهتم بالدرجة الأساس بالكشف عن فحوى الحكمة الكامنة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي: في قوله وفعله وتقريره، وكل ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام؛ أي إن علم الحكمة النبوية يُعنَى بدراسة كل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل بعثته الشريفة، مرورًا بولادته ونبوته وحياته ووفاته عليه الصلاة والسلام، وصولًا إلى العصر الحاضر في تتبع كل ما يتعلق بالسنة النبوية، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها؛ فكل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم هو مادة لعلم الحكمة النبوية...

ومن أجل فهم الحكمة النبوية فهماً صحيحاً ما لابد من فهم حكمة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرهم والفقه الذي قدموه، وكل ما يتعلق بالصحابة الكرام رضي الله عنهم. فصحابة النبي صلى الله عليه وسلم هم الطريق الواضح لفهم ما يتعلق بالحكمة النبوية.

كما أن الفهم الخاص بالحكمة النبوية ليس فهماً نظرياً ومجرداً وإنما هو فهم عملي، فدراسة الحكمة النبوية ليس فقط من أجل الفهم، وإن كان هذا العمل جليلاً بحد ذاته، وإنما دراسة الحكمة النبوية من أجل تطبيق سنة النبي صلى الله عليه وسلم تطبيقاً عملياً صحيحاً يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، بما يعود بالنفع على الإنسان والمجتمعات في الدنيا والآخرة.

فهرس الكتاب

الفصل الأول: مدخل إلى علم الحكمة النبوية.

الفصل الثاني: أحاديث في أصول الإسلام من الحكمة النبوية.

الفصل الثالث: الصحابة والحكمة النبوية.

الفصل الرابع: كيف نطبق الحكمة النبوية.

الفصل الخامس: مباحث تطبيقية في الحكمة النبوية.

الفصل السادس: ملاحق.